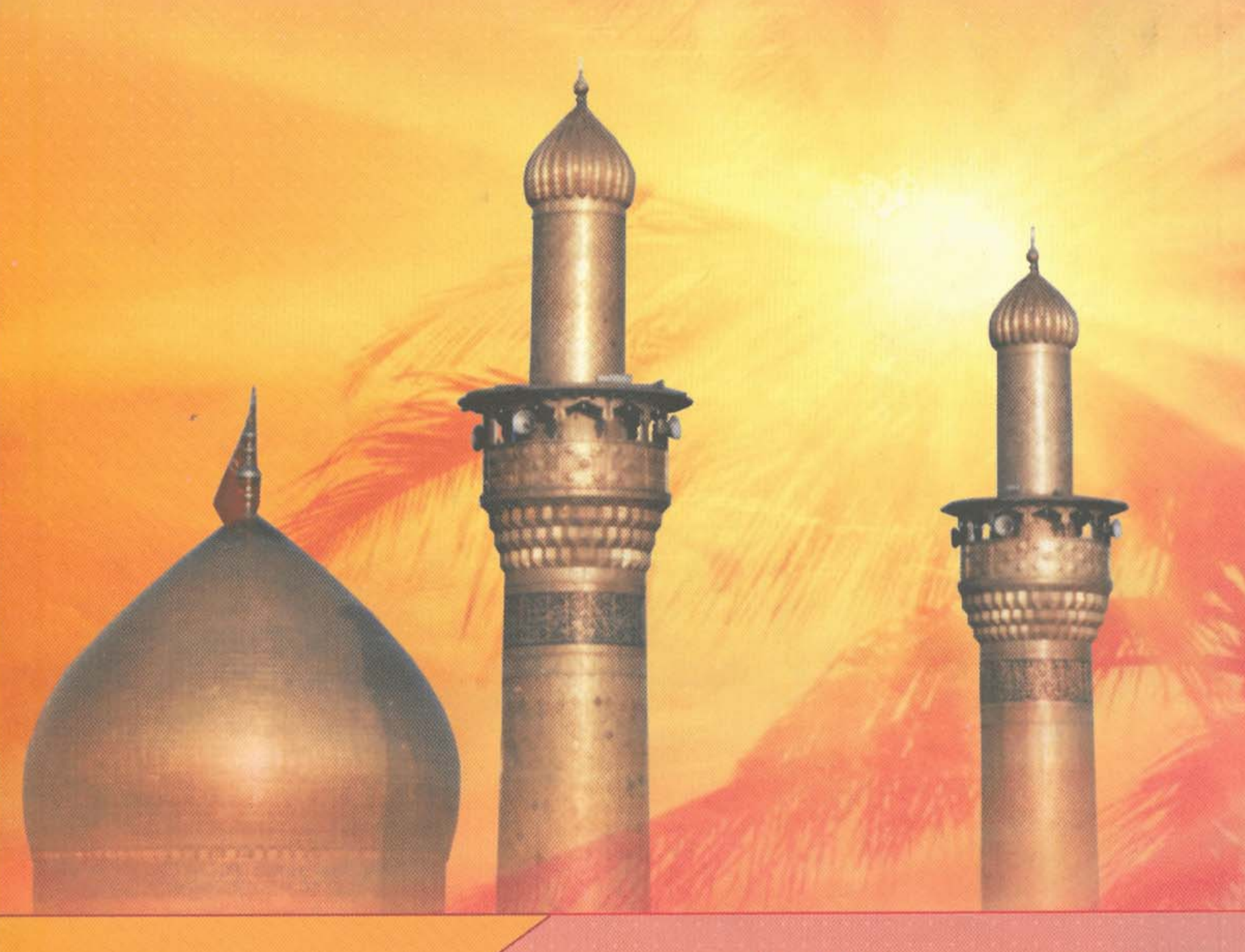
نفحات عاشوراء



السيد محمد الشوكي

انتشارات
دار الجواد عليه السلام للتحقيق والنشر

سلسلة نفحات عاشوراء
٢



تأليف

السيد محمد الشوكي

مصورات
حسين الخزاعي لعام ٢٠١٢
قم المقدسة

انتشارات
دار الجواد عليه السلام للتحقيق والنشر

اسم الكتاب: .... نفحات عاشوراء / ٢

المؤلف: .... السيد محمد الشوكي

الناشر: .... دار الجواد (عليه السلام) للتحقيق و النشر

الطبعة: .... الاولى

المطبعة: .... ثامن الحجج (عليه السلام)

سنة الطبع: .... ١٤٢٦ ه ٢٠٠٥ م

الكمية: .... ١٠٠٠ نسخة

شابك: ٥-١٧-٨٩٧٥-٩٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الدار

عاشوراء مدرسة الأجيال التي استمرت بعطاياها الزاخرة من يوم الحسين عليه السلام المشهود إلى يوم الناس هذا، وستبقى تمنح الإنسانية هداياها وعطاياها إلى قيام يوم الساعة.

وخطباء المنبر الحسيني هم المعلمون الذين يوضحون للناس مبادئ وقيم وأهداف وعطايا ونفحات هذه المدرسة العظيمة.

لذا ارتأت (دار الجواد عليه السلام للتحقيق والنشر) أن تقدم للخطيب وللقارئ الكريمين سلسلة **(نفحات عاشوراء)** المتكونة من أربعة عشر كتاباً تيمناً بالأئمة المعصومين الأخيار الأطهار (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، وهذه السلسلة عبارة عن مجموعة محاضرات حسينية لأربعة عشر خطيباً من خطباء المنبر الحسيني الشريف.

وقد صدر ـ بعون الله ـ العدد الأول من هذه السلسلة للخطيب الشيخ علي الشجاعي ـ أيده الله بتوفيقه ـ .

واليوم يصدر العدد الثاني من هذه السلسلة لسماحة السيد محمد الشوكي، وهو الكتاب الذي بين يديك ـ عزيزي القارئ ـ .

وهو كتاب جدير بالمطالعة لما يحويه من نفحات حقيقية لمدرسة عاشوراء، إضافة إلى ما يحويه من مادة علمية جيدة، وأشعار من نظم المؤلف، والتفاتات ورؤى جديدة، وما أضفى عليه اختلاف موضوعاته وانتقاءها من روعة وجمالية وموسوعية.

ولابدّ لي من أن أنوّه أنني عرفت سيد محمد الشوكي طالباً وخطيباً يقضي جلّ وقته في المكتبة مطالعاً ومدوّناً.

وهو سيد جليل القدر كريم النفس طيب الأخلاق، وقد تشرفت بدعوته خطيباً في هيئتنا (هيئة شباب المهدي المنتظر (عج) لطلبة الحوزة العلمية العراقية) بسنتين، فوفقه الله لكل خير وزاده في علمه وتقواه.

الشيخ زهير البغدادي

دار الجواد عليه السلام للتحقيق والنشر

المقدمة

الحمد لله الذي شدّ الناس بحبليه، وعصمهم من الضلال بثقليه، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

لم تكن قضية عاشوراء حدثاً تاريخياً محضاً حدث في حقبة زمانية معينة ثم انقضى، كما هي أغلب الأحداث التاريخية التي لم تستطع أن تتخلص من أسر الماضي، وتنطلق في رحاب الحاضر والمستقبل، لتؤثر في مساراته المختلفة، وإنما كانت قضية عاشوراء ولا زالت الحدث التاريخي الكبير الذي ترك لمسات واضحة على الواقع البشري في الماضي، وشارك بفاعلية كبيرة في صياغة الحاضر والمستقبل و لم يستنفذ تأثيره في يوم من الأيام، هو حدث يتلون بلون العصر الذي يتحرك فيه ويطلّ على كل تطلعاته وآماله وآلامه، فيعطيه من روحه الخصبة الممرعة ما يحتاج إليه في حركته في الحياة وصراعه مع التحديات التي تواجهه، ولعل خير ما يعبر عن هذا الامتداد العاشورائي الكملة التي تقول: **(كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء).**

وإطلالة عاشوراء من الأفق الأوسع على كل العصور ناتجة عن روح عاشوراء وطبيعته، فثورة الحسين عليه السلام ليست ثورة سياسية محضة تهدف إلى

قلب النظام الحاكم آنذاك واستبداله بنظام جديد فحسب، وإنما هي ثورة قيمية مناقبية شاملة، ثورة على كل أفكار الضلال والانحراف الجوفاء التي كانت حاكمة ـ ولا زالت ـ في جوانب متعددة من الحياة من أجل محوها من ضمير الأمة وابدالها بقيم إنسانية رسالية حيّة، تنطلق بالبشرية إلى الأمم في حركة وثابة خلاّقة لا تعرف الخمول والانهزام.

هذه المناقبية العريقة في الثورة الحسينية المباركة هي التي جعلتها حاضرة في وعي الثائرين والأحرار في كل زمانٍ ومكان، إذ لا غنى لهم عنها وعن عطائها المتدفق، فشعار الحسين عليه السلام: «**إنما خرجت لطلب الإصلاح**» وصرخته في ربا الطف: «**هيهات منّا الذلة**» وموقفه الراسخ الصلب أمام الجيوش الزاحفة القتالة الذي عبّر عنه بقوله: «**والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ لكم إقرار العبيد**»... كل تلك القيم التي جفلت بها هذه الكلمات وغيرها هي قيّم للحياة مجردة عن ردائها الزمني المحدود.

الحسين عليه السلام علّم الناس التمرد على الخوف، ونبذ الروح الانهزامية الخاوية علّمهم عطاء الدم وعشق الشهادة في سبيل المبدأ الحرّ والتفاني في سبيل الكرامة ـ علّمهم أنّ من يطلب الموت يُعطى الحياة، وقال للأجيال: «**إنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برما**» وهذه هي عبقرية الشهاة، وهذا هو مصدر الإلهام.

والحسين عليه السلام بحدّ ذاته قيمة كبيرة، قيمة جامعة اجتمعت فيها كل القيم النبيلة وجسّدها سلوكه فمشت في الواقع ولم تبق محلّقة في جوّ الشعارات، فإذا ما أردنا لذكرى عاشوراء أن تحتفظ بحضورها الفاعل في حياتنا وأن تمارس

تأثيرها العميق في مسارات واقعنا المعاصر فعلينا أن نستلهم من روح الحسين عليه السلام إشراقة الروح، ومن فكره نقاوة الفكر، ومن موقفه صلابة الموقف، ومن أهدافه نبل الأهداف، أن نأخذ نوراً من نوره وهدىً من هداه، وأن نثير كل تلك القيم الحسينية بصورتها العصرية اللائقة ونحييها في ضمائر الأمة المتعطشة لها، ثمّ أنّا لا ينبغي أن نغفل دور المأساة والعاطفة في إحياء ذكرى عاشوراء لأنها هي التي تعطيها الديناميكية في الحركة والحيوية في الحضور إذا أردنا أن نُبقي ذكرى عاشوراء حيّة حارّة في ضمير الأمّة فعلينا اذاً أن لا نخلع عنها ثوب المأساة لأننا سنحيلها ـ إن فعلنا ـ إلى ذكرى جافّة ناشفة لا توقظ الروح ولا تلهب المشاعر.

ولهيب المشاعر هو الذي يعمّق أواصر الإرتباط بالحسين عليه السلام وقضيته العادلة، ويدمجها بالذات الإنسانية بحيث يصعب نسيانها أو إهمالها، وذلك سر تأكيد أهل البيت عليهم السلام على البعد التراجيدي في قضية الحسين عليه السلام وحثّهم على البكاء واستمطار الدموع على مصابه.

نعم يجب ألاّ يطغى الجانب العاطفي على الجانب الفكري فتُختزل الذكرى ـ على عظمة أبعادها ـ بطقوس عاطفية محضة تبتعد بالقضية عن أبعادها الحضارية، ومضامينها الرسالية، بل لابدّ من الموازنة بين الأمرين حتى نحفظ ذكرى الحسين عليه السلام حيّة في فكر الأمة من خلال الفكر وفي وجدانها من خلال المأساة.

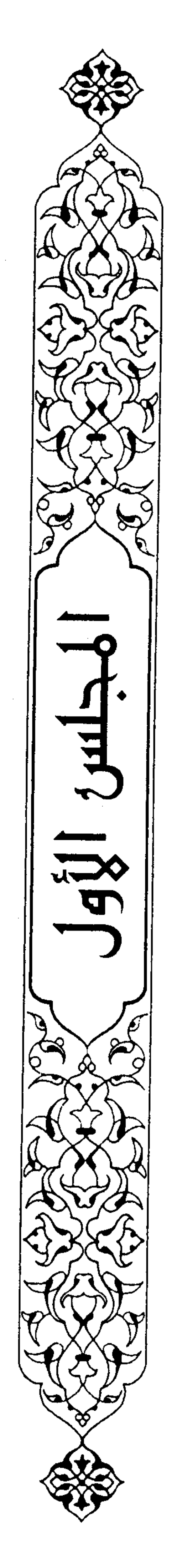
وقد لعب المنبر دوراً بارزاً ـ خصوصاً في الأزمنة المعاصرة ـ في المحافظة على هذين البعدين الأساسيين في عاشوراء، ونحن نأمل أن يستمر في الحفاظ على هذه

الموازنة الدقيقة في تعاطيه مع عاشوراء ونطمح له بالمزيد من التجديد والإبداع في هذا الطريق المبارك.

وأمّا هذا الكتاب الذي بين يديك ـ عزيزي القارئ ـ فهو مجموعة من المحاضرات الدينية التي ألقيتها ـ وأنا أقل خدّام الحسين عليه السلام بضاعة ـ في مجالس متعددة من ذكرى عاشوراء، وقد طلب منّا الأخ العزيز الشيخ زهير البغدادي مدير مؤسسة الإمام الجواد عليه السلام الثقافية (سدد الله خطاه ووفقه في آخرته ودنياه) إعدادها للطباعة لينتفع بها المؤمنون مقروءة كما كان رجاؤنا أنهم انتفعوا بها مسموعة فأجبنا طلبه شاكرين له اهتمامه بخدمة الحسين عليه السلام وخدّامه، وها أنا قد أعددتها للنشر وحاولت أن أطعمها ببعض القصائد (الفصحى) والأخرى العامية (الدارجة) التي كتبتها في أزمنة متفاوتة راجياً أن تنال رضا الله تبارك وتعالى واستحسان القرّاء الكرام.

محمد الشوكي

٥ / جمادى الأولى / ١٤٢٦ هـ



إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام

المجلس الأول:

إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام

جدّدتَ يا شهرَ الشجاء شجائي وسلبتَ عيني لذةَ الإغفاءِ
وتركتني دامي الفؤاد مؤرّقاً ولهان يلتهم الأسى أحشائي
قد جئتنا تحيي الشجون مذكراً بمصيبة السبط الغريب النائي
مذ شَرَّدتْه عن المدينة نازحاً زُمَرُ الضلال وعصبة الطلقاءِ
ساموه أن يرد الهوان أو الردى والحُرُّ لا يرضى سوى العلياءِ
فاختار أن يلقى المنية طائعاً فقضى ضميئاً سيد الشهداء
أفديه عطشاناً يجود بنفسه ما روّيت أحشاؤه من ماءِ
أفديه مقطوع الوتين من القفا دامي الجراح موزع الأشلاءِ
أفديه عُرياناً يكفّنه الثرى ملقىً بلا غسلٍ على الرمضاءِ
ياليت أني كنت دون فؤاده درعاً أقيهِ أسنة الأعداءِ
ياليت داستني الخيول ولـــم تكن داست عليه بحومة الهيجاءِ*

(*) القصيدة لصاحب الكتاب.

بگلبي ماتمك يحسين ينصـــاب　　وذچرك من يمر الدمع ينصاب
گلبي دون گلبك ريت ينصاب　　وخدي دون خـــدك علوطيه

* * *

قال الإمام الرضا عليه السلام:

«أحيوا أمرنا، يرحم الله عبداً أحيا أمرنا، فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا».

تمر الأيام والليالي وتأتي ذكرى عاشوراء مضمخة بأريج الشهادة وعبق التضحية كالربيع الذي يلامس الأرض الجديبة فيهبها حياة ورونقاً جديداً.

كذلك تأتي ذكرى عاشوراء، ذكرى الحسين عليه السلام لتجدد فينا كل تلك القيم التي ربما ماتت أو أصابها الضمور.

يأتي عاشوراء وتملأ أسماعنا دعوة الأئمة من آل رسول الله ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ لإحياء أمرهم، وإذا صوت الإمام الصادق والإمام الرضا عليهما السلام وغيرهم يصدح فينا: «**أحيوا أمرنا يرحم الله عبداً أحيا أمرنا**».

وهنا يبرز سؤالان مهمان تجدر الإجابة عليهما:

السؤال الأول: لماذا كل هذا التأكيد على أمر أهل البيت عليهم السلام؟

السؤال الثاني: ما هو السبيل السليم لإحياء أمرهم؟

وقبل الإجابة على هذين السؤالين المهمين لابد أنّ نعرف أن أمر أهل البيت عليهم السلام ليس هو شيئاً وراء الإسلام، أمرهم هو الإسلام بكل قيمه ومفاهيمه، حيث لم يعيشوا يوماً لذواتهم، وإنما عاشوا وماتوا من أجل

الإسلام؛ وبالتالي فعندما نحيي أمرهم نكون قد أحيينا الإسلام الذي تجسد فيهم عليهم السلام.

أمّا بالنسبة الى السؤال الأول: لماذا نحيي أمر أهل ألبيت عليهم السلام؟ ولماذا أكدوا على هذه المسألة تأكيداً بالغاً؟

ففي الجواب عن ذلك نقول: إنّه يوجد خط تاريخي كان ولا يزال فاعلاً، هدفه إماتة أمر أهل البيت عليهم السلام؛ ولنصطلح عليه **(خط الإماتة)**، وهذا الخط يهدف إلى القضاء على فكر وذكر أهل البيت عليهم السلام. وهذا الخط له دوافع متفاوتة أحدها الحسد المعتمل في نفوس البعض تجاه أهل هذا البيت الطاهر، حيث قد ورد في الروايات الشريفة في تفسير قوله تعالى: ﴿**أَمْ يَحسُدُونَ النّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ**﴾[1] إنهم هم الناس المحسودون، وإذا ما طالعنا التاريخ سوف نلمس مظاهر هذا الحسد عند الكثير من الأشخاص الذين عاصروهم.

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيهُ فالكلّ أعداءٌ له وخُصومُ

ولهذا لما استشهد أميرُ المؤمنين عليه السلام أنسَ بن مالك بسماعه لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حقه: «**من كنت مولاه فهذا علي مولاه**» قال: أعذرني يا أمير المؤمنين فإنّي كبرت ونسيت.

لاحظ كتب الحديث كم تروي عن أنس من الروايات في شتى الأبواب، فلماذا نسي هذه الرواية المتواترة المشهورة، هل هذا شيء غير الحسد؟! ولهذا رفع الأمير عليه السلام يديه بالدعاء قائلاً: «**اللهم إن يك كاذباً فارمه ببيضاء لا**

---

١ ــ النساء: ٥٤.

تواريها العمامة» أي البرص. وفعلاً ناله البرص، فكان يقول عندما يسأل عنه: لقد نالتني دعوة العبد الصالح.

ومن هذه الدوافع الحقد القديم، والإحن والأضغان التي عشعشت في صدور الكثير من الناس تجاه أهل البيت عليهم السلام، وخصوصاً الإمام علي عليه السلام؛ لأسباب متنوعة لا مجال للخوض فيها الآن، فربما تكون الحروب التي خاضها أمير المؤمنين عليه السلام ضد عتاة العرب، ومردة أهل الكتاب أحد أهم الأسباب البارزة في ذلك. وكذلك الحقد الدفين الذي لم يمحه الإسلام ولا الزمن، فكثير من المشركين دخلوا في الإسلام رهبة لا رغبة، جاؤوا محملين بالأحقاد والأضغان تجاه الرسول وأهل بيته الكرام، وخصوصا لعلي بن أبي طالب الذي أثكل العرب بصناديدهم، فما من عشيرة إلاّ ولها صريع بسيف علي بن أبي طالب عليه السلام، ولقد قتل لوحده في يوم بدر نصف المشركين خمسة وثلاثين رجلاً وشارك في قتل الباقين، فظلت هذه الأحقاد تعتمل في نفوسهم جيلاً بعد جيل على حد قول الشاعر:

أبقى الضغائن آباء لنا سلفوا   فلن تبيد وللآباء أبناءُ

ولهذا عندما أحتج الحسين عليه السلام على الجيش الذي خرج لقتاله بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغير ذلك، قالوا له: إنّما نقاتلك بغضاً منا لأبيك.

ومن هذه الدوافع المقيتة دافع الطمع وحب الملك حيث اضطهد أهل البيت وحوربوا وقتّلوا وشرّدوا تحت هذا الشعار البغيض (الملك عقيم).

ومن هذه الدوافع محاولات القضاء على الإسلام من قبل أعدائه الكثيرين حيث منيت هذه المحاولات بالاحباط نتيجة لوجود أهل البيت عليهم السلام الذين

شكّلوا سداً منيعاً صدّ كل محاولات التحريف والتزييف والتخريب التي خطط لها الظالمون تجاه الإسلام.

فالحملات التي استهدفت أهل البيت عليهم السلام على طول التاريخ كانت تستهدف في الحقيقة الدين الإسلامي من أساسه؛ لأنّ البوابة التي يُدخل منها إلى الإسلام هم أهل البيت عليهم السلام، فإذا ما تحطمت هذه البوابة كان باستطاعة كل أحد أن يدخل إليه ويعيث فيه فساداً، إلى غير ذلك من الدوافع الأخرى.

ومن أجل كل ذلك تشكل خط الإماتة، أماتة ذكر وفكر أهل البيت عليهم السلام، وهو خط موغل في القدم نشأ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، فعندما نلاحظ بعض المقولات التي صدرت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل بعض الصحابة، ونخضعها للدراسة سوف نجد أنّها تصب في هذا المنحى، مثلاً من هذه الكلمات التي لاقت رواجاً كبيراً في ذلك الزمان الكلمة التي صدرت من أرباب السقيفة: (حسبنا كتاب الله) التي أدت إلى المنع من كتابة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتداولها، وحتى إنّهم قاموا بإحراقها في تجاوز خطير على صاحب الرسالة، ولو درسنا المبررات التي قدمت لهذا المشروع الخطير لرأينا أنها مبررات واهية كبيت العنكبوت، فعلى سبيل المثال من تلك المبررات أنّهم منعوا تداول الحديث، وأمروا بإحراقه من أجل أن لا يختلط بالقرآن الكريم، وهذا تبرير واهٍ؛ لأنّه من غير الممكن أن يختلط الحديث بالقرآن الكريم، وأين لغة الحديث النبوي على رغم فصاحته وبلاغته من لغة القرآن وأسلوبه؟! وهل يضيع ذلك على أبسط المسلمين فضلاً عن علمائهم؟! وغير ذلك من التبريرات الهزيلة التي لا تقنع أحداً حتى أصحابها.

الواقع أنّنا لو درسنا القضية بدقة لعرفنها الهدف من مشروع إلغاء الحديث النبوي، فإنّ الهدف واضح وهو تضييع مجموعة كبيرة من الأحاديث النبوية الشريفة التي تشيد بفضل علي بن أبي طالب عليه السلام وبأبنائه البررة وبمكانتهم من الله ورسوله فتخفي على الناس فضائلهم ومناقبهم، وأخيرا تخفي على الناس مكانتهم الرفيعة التي ينبغي أن يحتلوها في الأمة.

ومن الكلمات التي صدرت في تلك الفترة أيضا الكلمة التي تقول: (إنّ النبي رجل يقول في الرضا والغضب)، فقد يغضب ويفقد أعصابه في بعض الأحيان ــ أعوذ بالله ــ فيذم بعض الأشخاص، وقد يحب شخصاً ما؛ لاعتبارات معينة فيمدحه من منطلق الهوى والعاطفة المجردة، وبعيداً عن الحق والاستحقاق؛ لأنّه رجل يقول في الرضا والغضب على حد زعمهم. وذلك حتى يوحوا للناس بأنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عندما مدح علياً عليه السلام إنما مدحه لعاطفة تجاهه باعتباره ابن عمه وزوج ابنته؛ لا لاستحقاق منه لذلك. وعندما ذمّ بعض الأشخاص لا لاستحقاق منهم لذلك؛ بل لأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان بحالة مزاجية خاصة، أعوذ بالله.

ولما وصل الأمر إلى بني أُمية وإلى معاوية بن أبي سفيان بالذات طوّر القضية، وأعطاها مدىً أوسع، حيث عمّم كتاباً على الأمصار قال فيه: (انظروا من روى في أبي تراب شيئاً فاقطعوا رزقه وامحوه من الديوان)، حتى وصل الأمر أنّ الفقيه إذا أراد أن يذكر رأياً فقهياً لعلي بن أبي طالب يكني ولا يذكره بالاسم الصريح، فيقول: قال الشيخ، أو قال أبو زينب كناية عنه عليه السلام.

ثم بعد ذلك انتقل خطوة أكثرمن ذلك حينما أمر المحدثين المأجورين أن يضعوا الأحاديث في فضل الشيخين، حتى يخلق مكافئين لعلي عليه السلام يغطون عليه، فوضعت الأحاديث في فضل الشيخين بموازاة مع فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، فما من فضيلة لعلي عليه السلام إلا ووضع مثلها في حق الشيخين، فقالوا: (أنا مدينة العلم وعلي بابها، وأبو بكر سقفها، وعمر جدرانها).

وقالوا: (أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة)، معارضة لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**». فلما أكثروا في فضائل الشيخين قال لهم: كفوا وضعوا الأحاديث في فضائل عثمان بن عفان، فوضعوا الكثير من ذلك.

بعد ذلك انتقل إلى الخطوة الأخطر، وهي وضع الأحاديث في ذم أمير المؤمنين سلام الله عليه، فجند لذلك بعض الرواة من أمثال سمرة بن جندب الذي كان يقول: لعن الله معاوية لو أطعت الله كما أطعته لما عذبني أبداً. فطلب منه أن يروي أنّ هذه الآية الكريمة: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۞ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ**﴾[1] نزلت في علي بن أبي طالب، وأنّ الآية الأخرى، وهي قوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾[2] نزلت في عبد الرحمن بن ملجم، فروى له ذلك مقابل حفنة من الدراهم؛ ولما مهد الأمر أمر بسبّ أمير

---

١ ــ البقرة: ٢٠٤ ــ ٢٠٥.

٢ ــ البقرة: ٢٠٧.

المؤمنين عليه السلام من على المنابر، وجعلها سنة يشيب عليها الصغير ويهرم عليها الكبير.

والحقيقة أنّ هذه الخطط اللئيمة لو مورست مع رجل آخر غير أمير المؤمنين عليه السلام لاندثر ذكره في الأيام الأولى؛ لكنّه كالشمس سرعان ما تنكشف عنها الغيوم فتظهر ناصعة مضيئة، مستمرة مع الزمن، ولو اجتمع ظلام العالم كله لَمَاَ استطاع أن يطفئ شمعة واحدة من مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام.

وعلى كل حال، فقد استمر بنو أمية على الخط الذي رسمه لهم معاوية تجاه أهل البيت عليهم السلام.

ولما ولّى عهد بني أُمية، وجاء زمن بني العباس، شحذوا مديتهم، وقلّبوا لأهل البيت ظهر المجن، وحاربوهم بصورة شرسة لم يعرف لها مثيل، حتى قال القائل:

يا ليت ظلم بني أمية دام لنا ... وليت عدل بني العباس في النارِ

وخير من يصف لنا تلك الحالة شاعر أهل البيت عليهم السلام أبو فراس الحمداني رحمه الله حيث يقول في ميميته العصماء:

يا للرجالِ أمَا للهِ منتصفٌ ... من الطُّغاة أما للدِّينِ منتقمُ

بنو عليٍّ رعايا في ديارهمُ ... والأمرُ تملكُهُ النسوانُ والخدمُ

محلأونَ فأصفى شربهم وشلٌ ... عند الورود وأوفى ودَّهم لَمَمُ

بئس الجزاء جزيتم في بني حسن ... أباهم العَلَمُ الهادي وأمهمُ

لا بيعة ردعتكم عن دمائهمُ ... وَلاَ يمينٌ وَلا قربى ولا ذممُ

كم غَدرةٍ لكم في الدين واضحة ... وكم دمٍ لِرسول الله عندكمُ
أأنتم آله فيما ترون وفي ... أظفاركم من بنيه الطاهرين دمُ
ما نال منهم بنو حرب وإن عظمت ... تلك الجرائر إلا دون نيلكم

وقاموا بخطوة لم يفعلها الأمويون، عندما حرثوا قبر الحسين عليه السلام وأجروا الماء عليه في زمن المتوكل العباسي حتى يعفوا قبره ويدثروا ذكره، ولا زال خط الإماتة مستمراً في عمله إلى يومك هذا، متمثلاً بسلاطين الجور، والأقلام المأجورة، ووسائل الإعلام المظللة.

في مقابل هذا الخط نشأ عندنا خط آخر مضاداً لهذا الخط وهو ما يمكن أن نصطلح عليه (**خط الإحياء**) إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، وتمثل هذا الخط المبارك بالعلماء الأبرار، الذين حملوا على عواتقهم مسؤولية ترويج مذهب أهل البيت عليهم السلام، ونشر فضائلهم، ومناصرة عقائدهم، والدفاع عن حريم مذهبهم، والذين بذلوا في ذلك الجهود المضنية، والتضحيات الجسيمة من أموالهم، وأوقاتهم، ودمائهم. وهكذا عوام الناس من شيعة أهل البيت عليهم السلام بإقامتهم لمجالس الذكر والعزاء، وأيضاً الشعراء والأدباء، الذين أدوا رسالتهم بأمانة وإخلاص جزاهم الله خيراً.

ونحن اليوم نرث هذا الخط المبارك، وهو أمانة في أعناقنا، وصل إلينا عبر التضحيات الجسام التي قدمها أسلافنا، وعلينا أن نحفظ الأمانة ونديم فاعلية هذا الخط المبارك حتى نوصله إلى الأجيال الآتية.

فإنّ هذا التأكيد الكبير من قبل الأئمة على إحياء أمرهم هو من أجل وجود خط مضاد يعمل جاداً وبكل وسيلة من أجل إماتة ذكر وفكر أهل

البيت عليهم السلام. حيث أرادوا لنا أن نشكل خطاً في قبال ذلك الخط يعمل على أحياء أمر أهل البيت عليهم السلام الذي قلنا إنّه ليس شيئاً وراء الإسلام وقيمه الكريمة. هذا بالنسبة إلى السؤال الأول.

أما بالنسبة إلى السؤال الثاني: كيف نحيي أمر أهل البيت عليهم السلام؟

الشيء المهم هو أن نعرف أولاً كيف نحيي أمرهم؟ لأنّ الذي لا يعرف كيف يحيي أمرهم قد يسبب في إماتته من حيث لايشعر؟! لاحظوا أنّنا لو كان لدينا حديقة غنّاء مليئة بالزهور والأوراد والأشجار المثمرة، وأردنا أن نحييها، وأعطيناها إلى شخص ليس له معرفة بأمور الحدائق، فإنه سوف يسبب في إماتتها من دون أن يشعر، حتى ولو كان مخلصاً في عمله فقد يعطيها من الماء فوق حاجتها أو دونها، ولربما عرّض بعض الأزهار إلى حرارة الشمس أكثر من اللازم فتموت. فلابد للمزارع أن يعرف طبيعة النباتات التي يعمل فيها، ثم يعرف كيف يحييها.

هكذا حالنا مع أهل البيت عليهم السلام، لابد أن نعرفهم أولاً، ثم نعرف كيف نحيي أمرهم؛ ولهذا نرى الزيارة التي هي من أهم مظاهر إحياء أمرهم مشروطة بالمعرفة، حيث قد ورد في كثير من النصوص هذا المضمون: «**من زاره عارفاً بحقه وجبت له الجنة**»، فلابدّ من معرفة أهل البيت عليهم السلام معرفة دقيقة على ضوء العقل والشرع المبين، فلا نرفعهم فوق حقهم، ولا نضعهم دون مراتبهم التي رتبهم الله فيها، ثم نستخدم الطريقة المثلى في الإحياء، بحيث لا تتنافى مع الشرع الحنيف ولا مع طريق العقلاء.

وفي حديث الإمام الرضا عليه السلام المتقدم إشارة إلى الأسلوب الصحيح في الإحياء، حيث قال عليه السلام بعد الأمر بالإحياء: «**فإنّ الناس لو علموا محاسن حديثنا لاتبعونا**».

فإذن: الطريقة المثلى للإحياء هي نشر أحاديث أهل البيت عليهم السلام، التي تمثل فكرهم المبارك والمعطاء، فخير وسيلة لإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام هو نشر فكرهم بين الناس؛ لأنّ الناس لا تعرف فكر أهل البيت عليهم السلام، فهي إما أنها لم تطلع عليه أصلاً، أو وصلها بصورة مشوشة ومشوهة؛ ولهذا لا ترى مكاناً لفكرهم، لا في المدارس والجامعات، ولا في المنتديات والمؤتمرات، وإلاّ ثقوا أنّ الناس لو اطّلعوا على العطاء الثرّ لفكر آل محمد ـ صلوات الله عليهم ـ لاتبعوهم مسرعين، ونحن الآن ـ بحمد الله ـ نملك الإمكانات اللازمة لذلك من الصحف والمجلات وشبكات الأنترنيت، ومجالس منتشرة في بقاع العالم، أين ما تذهب في أمريكا وأوربا وأسيا تجد هناك مجالس للحسين عليه السلام، فلنحول هذه المجالس إلى مدارس يذكر فيها فكرهم الصافي لا أن نستخدمها لقضايا هامشية لا تجلب لنا نفعا، ولا تدفع عنا ضراً.

من هنا نحن نقرأ في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: «**أحيوا أمرنا فإنّ من جلس مجلسا يحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب**»، لماذا لا يموت قلبه يوم تموت القلوب؟! لأنّه يستمع في ذلك المجلس إلى أحاديث أهل البيت عليهم السلام، وأحاديثهم تحيي القلوب، كما يحيي المطر الأرض الميتة.

وبالطبع نحن عندما ندعو إلى أن تكون هذه المجالس مجالس للفكر،لا نريد أن نلغي دور الدموع والبكاء، بل الذي نؤكد عليه هو أن تكون هذه المجالس

(عِبْرة) كما هي مجالس (عَبْرة). البكاء مهم جدا في عملية الإحياء؛ لأنّه يربطنا عاطفياً بأهل البيت عليهم السلام، ويحفظ أمرهم في قلوبنا غضّاً طرياً، فمجالس عاشوراء من دون الدمعة والعبرة تصبح باردة جافة لاطعم لها.

ولهذا نرى الأئمة عليهم السلام يؤكدون كثيراً على مسألة البكاء، فقد روى الريان بن شبيب عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «**يابن شبيب إن كنت باكياً فابكِ الحسين عليه السلام فإنّه قتل وذبح كما تذبح الشاة.**

يا بن شبيب لقد حدثني أبي، عن أبيه، عن جده أنّه لما قتل الحسين عليه السلام أمطرت السماء دماً وتراباً أحمر.

يا بن شبيب إن بكيت على الحسين حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته صغيراً كان أو كبيراً».

وأنت تذكر وصية الحسين عليه السلام لابنته سكينه عندما اعتنقته بعد قتله:

«شيعتي مهما شربتم عذب ماء فاذكروني أو سمعتم بقتيلٍ أو شهيدٍ فاندبوني
فأنا السّبط الذي من غير ذنبٍ قتلوني وبجردِ الخيل بعد القتل عمداً سحقوني
ليتكم في كر بلاء كنتم جميعاً تنظروني كيف استسقي لطفلي فأبوا أن يرحموني»

* * *

شيعتي لو شفتو من عدكم غريب اذكروني بالنياحه والنحيب
الغريب انه اليظل جسمي سليب وماضيات بمهجتي طعناتها

* * *

شيعتي ولو راس شفتوه انگطع ولو گلب حزناً عله مصابه انصدع

ذكروا راسي الفوگ عسال ارتفع   يتلو باحكام الصّحف واياهما

* * *

شيعتي لو شفتو من عدكم رضيع   ذكروا عبد الله الرواه من النجيع
ويلي بحضني طاح واتكور صريع   اطفال شنهو ذنوبهه وساياهما

* * *

وحگ من زار بيت الله وطفله   گلبي تلتهب ناره وطفله
عله حسين الگضه بالطف وطفله   الرضيع الفطمته سهام المنيه

* * *

لم يرحمـــوا حتى الرضيـــع فأودعـــوا   في نحـــره سهـــم المنـــون نصيلا



موجبات الرحمة الإلهية

المجلس الثاني:

موجبات الرحمة الإلهية

مدارسُ آياتٍ خَلت من تلاوة | ومترل وحي مقفر العرصاتِ
لآل رسول بالخيف من منى | وبالبيت والتعريف والجمراتِ
ديار علي والحسين وجعفر | وحمزة والسجاد ذي الثفناتِ
ديار عفاها جور كل منابذ | ولم تعف للأيام والسنواتِ
أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً | وقد مات عطشانا بشط فراتِ
إذا للطمت الخد فاطم عنده | وأجريت دمع العين بالعبراتِ
أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبي | نجوم سماوات بأرض فلاتِ
قبور بكوفان وأخرى بطيبة | وأخرى بفخ نالها صلواتي
قبور بجنب النهر من أرض كربلا | معرسهم فيها بشط فراتِ
توفوا عطاشى بالفرات فليتني | توفيت فيهم قبل حين وفاتي*

* * *

(*) القصيدة لشاعر أهل البيت عليهم السلام دعبل الخزاعي.

هلنوح يا زهره على منهو تنوحين نوحج على المسموم لو نوحج عله حسين
حنت ونادت والدمع بالخد بادي إن تسألوني يا خلگ كلهم أولادي
لاچن مصاب حسين ساري في فؤادي اعظم مصايبنه علينه مصيبة حسين
دهري رماني بالرزايا ابكل غالي وشتت أولادي عن يميني وعن شمالي
ماشوف ساعه من الحزن مرتاح بالي واعظم عليه لو نعه الناعي عله حسين

* * *

جاء في تعقيب صلاة الظهر:

«اللهم إني أسألكَ موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم».

من الصفات الإلهية الكريمة التي ورد التأكيد عليها في القرآن الكريم كثيراً هي صفة الرحمة حتى ابتدأ القرآن الكريم بها: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ**﴾، فالكتاب الإلهي افتتح باسم الله الرحمن الرحيم، وأراد لنا أيضاً أن نبتدأ كل أعمالنا باسمه الرحمن الرحيم حتى تكون أعمالنا، بل كل حياتنا مبنية على أساس الرحمة.

والحقيقة أنّ الأنسان إذا ما حصل على رحمة الله تبارك وتعالى، فإنّه يستغني عن كل شيء في العالم، كما يقول القرآن الكريم: ﴿**وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾[1]، ويقول: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾[2].

١ ــ آل عمران: ١٥٧.

٢ ــ يونس: ٥٨.

ويقسم العلماء الرحمة إلى رحمتين: رحمة رحمانية ورحمة رحيمية، تبعاً لقوله تعالى: ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾.

ويوجد اختلاف كبير بين العلماء في بيان الفرق بينهما فهناك من يرى بأن الفرق بينهما هو في كون (الرحمن) مختص بالأشياء، و (الرحيم) مختص بالأشخاص (الناس)، وهناك من يرى أن (الرحمن) موضوع لأصل الرحمة، و (الرحيم) في استمراريتها.

والبعض يرى بأنّ (الرحمن) اسم جامد بينما (الرحيم) مشتق.

وهناك رأي يقول بأنّ (الرحمن) اسم علم للذات، ولهذا لايجوز التسمي به بخلاف (الرحيم) فإنّه نعت للذات.

وهناك من يرى أنّ (الرحمن) للفيوضات التكوينة، و (الرحيم) للفيوضات الاختيارية... وغير ذلك من الآراء الأخرى التي لا أخوض في تفاصيلها ولا في مناقشتها.

ولكن عندما نرجع إلى أهل البيت عليهم السلام وهم عدل الكتاب ومبيّنوه نجد أنّهم يبرزون لنا فرقاً آخر بين (الرحمن) و (الرحيم) وهو الفرق في العموم والخصوص، أي أن الرحمة الرحمانية أعم من الرحمة الرحيمية. كما أشار إلى ذلك الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «**الرحمن اسم خاص بصفة عامة والرحيم اسم عام بصفة خاصة**»[1]، فالرحمن اسم خاص أي خاص بالله تبارك وتعالى؛ ولذا لا يصح أن نسمي أولادنا بـــ (رحمن).

---

١ ــ مجمع البيان ١: ٢١.

نعم يصح عبد الرحمن، ولكن بصفة عامة أي بالرحمة الرحمانية يرحم جميع المخلوقات، الطير في الهواء، والسمك في الماء، والوحوش في البراري، ويرحم الإنسان البرّ والفاجر، والمؤمن والكافر، يقول تعالى: ﴿**كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُوراً**﴾[1].

ويقول الدعاء المبارك: «**يا من يعطي من سأله، يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحننا منه ورحمة**». فحتى الذين لم يعرفوه من الكافرين والضالين والفاسقين يرحمهم برحمته الرحمانية، فيعطيهم ويشفيهم ويرزقهم، كما نرى نحن ذلك فيما حولنا.

وأما (الرحيم) فهو اسم عام لله وغيره ولهذا يمكن لنا أن نسمي أنفسنا وأولادنا به، ولكنّه بصفة خاصة أي خاصة بالمؤمنين فقط. فالرحمة الرحمانية تشمل المؤمن وغيره، وأما الرحمة الرحيمية فهي خاصة بالمؤمنين فقط.

يقول تعالى: ﴿**وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً**﴾[2]، ويقول: ﴿**عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ**﴾[3].

فهناك إذاً رحمة خاصة بالمؤمنين وبالمتقين فقط.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ رحمة الله الرحمانية أعم من الرحيمية بحسب الأفراد لا بحسب نفس الرحمة، وإلاّ فرحمة الله الرحيمية أوسع بكثير؛ ولهذا قيل

---

١ ـ سورة الإسراء: ٢٠.

٢ ـ سورة الأحزاب:٤٣.

٣ ـ سورة الأعراف:١٥٦.

للإمام زين العابدين عليه السلام إنّ الحسن البصري يقول: ليس العجب ممن هلك كيف هلك، ولكن العجب ممن نجا كيف نجا ـ أي يوم القيامة عند شدة الحساب ودقته ـ فقال عليه السلام: «**أنا أقول ليس العجب ممن نجا كيف نجا، ولكن العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله تعالى**»[1].

وتوجد رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله تقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان جالساً مع أصحابه؛ إذ أقبلت عليهم امرأة تحمل طفلين على متنها، وقد بدا عليهما أثر الجوع والسغب، فقالت لرسول الله صلى الله عليه وآله: إنّا لم نذق الطعام منذ مدة، فتصدق علينا بما عندك. فصاح بإحدى زوجاته: «**هل لديكِ شيء في البيت**»؟ قالت: ليس عندنا إلاّ قرص شعير ادخرته للعشاء. قال صلى الله عليه وآله: «**اتيني به**»، فأعطاه لتلك المرأة، فقسمته ثلاثة أثلاث، أخذت لها ثلثاً، وأعطت لكل طفل ثلثاً، فأكل الطفلان حصتهما بشغف، وسرعة تامة، وما عسى أن يكون ثلث رغيف لجائع لم يدخل جوفه شيء، عند ذلك عمدت المرأة إلى حصتها فقسمتها نصفين وأعطتها إلى ولديها. فلما نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى هذا المنظر بكى كثيراً، وبكى الصحابة لبكائه، ثم التفت إلى أصحابه قائلاً: «**أرأيتم رحمة هذه المرأة بولديها**»؟ قالوا نعم يا رسول الله، قال: «**إن الله أرحم بكم من هذه المرأة بولديها**».

نعم، ولهذا ورد في الدعاء المبارك عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «**يامن هو أبرّ بي من الوالد الشفيق، وأقرب إليّ من الصاحب الرفيق**».

---

١ ـ حياة الإمام زين العابدين / القرشي: ٣٦٧.

ولعل من أبرز الشواهد على رحمة الله بعباده المؤمنين هو عفوه عنهم مع تماديهم في الذنوب والمعاصي. فعندما ننظر إلى أنفسنا نجد أنّنا إذا أذنب معنا أحد الأشخاص، قد نغفر له في المرة الأولى، أو الثانية، أو الثالثة، ولكنّنا في المرة الرابعة سوف نطرده من بابنا، ونقول له: إنّك رجل تضحك على الذقون، وتستهزئ بالناس، أما الله تبارك وتعالى فليس هكذا. الله عز وجل تتصاعد إليه الذنوب بالملايين يومياً من الناس، ولو كشف لك عن الملكوت لرأيت وجه السماء أسوداً قاتماً، ولكن مع ذلك لا يزداد الله تبارك وتعالى إلا عفوا وكرماً. نقرأ في دعاء الافتتاح: «**فلم أرَ مولىً كريماً أصبر على عبدٍ لئيمٍ منك علي يارب، إنّك تدعوني فأولي عنك، وتتحبب اليّ فأتبغض إليك، وتتودد إليَّ فلا أقبل منك، كأنَّ لي التطول عليك، فلم يمنعك ذلك من الرحمة لي، والإحسان إليَّ، والتفضل عليَّ بجودك وكرمك، فارحم عبدك الجاهل، وجد عليه بفضل إحسانك إنك جواد كريم..**[1]».

ونقرأ أيضاً في دعاء أبي حمزة الثمالي: «**الحمد لله الذي أدعوه فيجيبني، وإن كنت بطيئاً حين يدعوني، والحمد لله الذي أسأله فيعطيني، وإن كنت بخيلاً حين يستقرضني، والحمد لله الذي أُناديه كلما شئت لحاجتي، وأخلو به حيث شئت لسري؛ بغير شفيع فيقضي لي حاجتي... والحمد لله الذي يحلم عني حتى كأنّي لا ذنب لي...**» [2].

١ ـ مفاتيح الجنان ، ألقمي:٢٤٣

٢ ـ ن . م: ٢٥٠.

وكما ورد أيضاً في مقطع آخر منه: «**تتحبب إلينا بالنعم ونعارضك بالذنوب، خيرك إلينا نازل وشرنا إليك صاعد..**». فرحمة الله بالمؤمنين كبيرة جداً وواسعة جداً لكن مقصودنا بكون الرحمة الرحمانية أوسع بمعنى شمولها لدائرة أكبر من الأفراد، وهذا هو أحد الفروق.

وعلى هذا الأساس يمكننا التفريق بين الرحمتين، فإنّ الرحمة الرحمانية تشمل الانسان ابتداء وبلا شروط فحتى الإنسان الكافر تشمله، بينما الرحمة الرحيمية لابد من توفر الشروط وزوال الموانع فيها.

دعني أضرب لك مثالاً على ذلك أن الفلاّح لو أراد أن يزرع الأرض لابد أن يزيل الملوحة عنها أولاً، ثم يحرثها ويبذر البذر ويسقيها الماء وينتظر رحمة الله تبارك وتعالى. أما لو فرضنا أنّه بذر البذر في الأرض السبخة، أو أزال الملوحة عنها ولكنه لم يسقها الماء فمن الطبيعي حينئذٍ أن لا يحصل على شيء. كذلك رحمة الله الرحيمية المختصة بالمؤمنين، إذا أراد الإنسان أن يستمطر شئابيـــبها، فعليه أن يرفع المانع ويحقق الشرط.

والموانع التي تمنع رحمة الله هي الذنوب والمعاصي، فكل ذنب يمنع قسماً من رحمة الله تعالى، كما يبين لنا أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء كميل فيقول: «**اللهم اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تغير النعم، اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء، اللهم اغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء...**[1]». فهذه الذنوب بمنزلة

---

١ ــ مفاتيح الجنان: ١٠٠.

الموانع التي تمنع رحمة الله عزَّ وجلّ، فما دام الإنسان مقيماً على الذنوب والمعاصي، ومصراً عليها فمن الممكن أن لا تشمله رحمة الله، ولا أقول على نحو الجزم؛ لأنّ الله يرحم من يشاء كيف يشاء، وليس لأحد أن يفرض على الله شيئا؛ لأنّه لا يسئل عمّا يفعل، ولكن بحسب ما نستفيده من النصوص الشريفة أنّه الرحمة الإلهية في كثير من الأحيان لابد فيها من زوال المانع. مثلا استجابة الدعاء رحمة من الله بالعبد، وكثيراً ما لا يستجيب الله لدعاء عباده باعتبار أنّ هناك موانع تمنع الاستجابة. تماما كما لو أردنا توصيل التيار الكهربائي إلى جهاز تلفاز فلو كان هناك حاجز بلاستيكي مثلاً فانه يمنع وصول التيار إلى الجهاز، وبالتالي سوف لن يعمل التلفاز، فالقصور ليس في نفس التيار الكهربائي، فإنه جارٍ سارٍ، ولكن في وجود المانع أو العازل البلاستيكي، كذلك رحمة الله سارية وجارية، ولكن الذنوب تمنع من وصولها إلى الإنسان المؤمن.

فعلى الإنسان أن يرفع المانع أولاً، ثم يوفر الشروط التي تسمى (بالموجبات) كما ورد في الدعاء الذي بدأت به الحديث: «**اللهم إنّي أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك**»، فهناك مجموعة أمور توجب وتحقق رحمة الله تبارك وتعالى إذا ما أتى بها الانسان. وموجبات الرحمة الإلهية كثيرة جداً تعرضت لها الروايات والآيات الشريفة أذكر لك أهمها:

أولاً: الإحسان، فأن يكون الانسان محسناً مع الله في أعماله وعباداته، ومع إخوانه المؤمنين، كأن يساعدهم مالياً، ويقضي حوائجهم، ولا أقل يحسن

إليهم بكلامه؛ لأنّ (الكلمة الطيبة صدقة) أو كما يقول الحديث الشريف: «**إذا لم تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم**» أو كما يقول الشاعر:

لا خيلَ عندك تهديها ولا مالُ فليسعد النطق إن لم يسعد الحالُ

فإذا كان الإنسان محسناً حينئذ يكون مستحقاً لرحمة الله تعالى ورضوانه، يقول تعالى: ﴿**إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[1]. المحسن دائما قريب من رحمة الله تبارك وتعالى.

ثانياً: الصبر على البلاء، فالذي يبتليه الله عزَّ وجلّ بماله أو بصحته أو بأهله، ويصبر عليه ويتوكل، فإنّ الله تعالى سوف يرحمه ويكشف ضره، يقول تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ ۞ أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾[2]، فإن تصبر تكن رحمة الله قريبة منك في الدنيا بالتفريج عنك، وبالآخرة حيث الثواب والنعيم المقيم الذي يعطيه الله للصابرين، وإن تجزع وتقنط وتسخط فإنّ رحمة الله تبتعد عنك في الدنيا حيث لا تحل مشكلتك، ولا يفرج عن همك، وفي الآخرة حيث النار والجحيم التي أعدها الله للساخطين والقانطين.

ثالثاً: رحمة العباد بعضهم للبعض الآخر، فإذا رأى الله تعالى جلّ اسمه عباده يتراحمون فيما بينهم، ويعطف بعضهم على البعض الآخر، سوف يتغمدهم برحمته، أما لو رآهم على العكس من ذلك لا يرحم بعضهم البعض الآخر، لا بكلمة ولا بصلة ولا بموقف، بل كما قال الشاعر:

---

١ ـ سورة الأعراف: ٥٦.

٢ ـ سورة البقرة: ١٥٦ ـ ١٥٧.

وليس الذئب يأكل لحم ذئب ويأكل بعضنا بعضاً عيانا

إذا رآنا هكذا سوف لا يرحمنا أبداً؛ لأنّها معادلة لا تقبل الغلط: «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»، كما في المأثور.

رابعاً: أحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، فهو من أهم موجبات الرحمة الإلهية، وتوجد عليه أدلة وشواهد كثيرة، من أهمها:

١ ــ إنّ الذي يُحيي هذه المجالس يكون مشمولاً بدعاء الأئمة عليهم السلام كدعاء الإمام الصادق عليه السلام: «**أحيوا أمرنا رحم الله عبداً أحيا أمرنا**»، فهو يدعو لنا بالرحمة ودعاء الإمام لا يرد أبداً.

٢ ــ هذه المجالس يبكى فيها على الحسين عليه السلام والبكاء عليه يغسل القلب ويمحو الذنب ويطفئ غضب الرب، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من ذكر الحسين عنده فخرج من عينه من الدموع بقدر جناح الذبابة كان ثوابه على الله ولم يرض له بدون الجنة جزاء**[1]».

٣ ــ هذه المجالس تحضرها ملائكة الله المقربون يبكون وينوحون على الحسين عليه السلام. كما ورد في الروايات الشريفة. ففي يوم من الأيام دخل جعفر بن عثمان على الإمام الصادق عليه السلام، فقال له: «**بلغني أنّك تقول الشعر في الحسين وتجيده؟**» قال: نعم جعلت فداك، فاستنشده فأنشده شعراً، فبكى الصادق عليه السلام ومن حوله حتى صارت الدموع على وجهه ولحيته وقال: «والله

١ ــ المنتخب, الطريحي: ٢٧.

لقد شهدت ملائكة الله المقربون هاهنا يسمعون قولك في الحسينعليه السلام، ولقد بكوا كما بكينا وأكثر، وقد أوجب الله لك في ساعتك هذه الجنة وغفر لك»[١].

فمجلس الحسينعليه السلام مجلس ملائكي يحضره الملائكة المقربون فكيف لا تهبط فيه رحمة الله؟! بل أكثر من ذلك يحضى بحضور أهل البيتعليهم السلام ويحظى بعنايتهم ورعايتهم، وخصوصاً سيدتنا الزهراءعليها السلام التي ما فتأت تذكر الحسينعليه السلام وتنوح عليه، ولسان حالها يقول: بني حسين قتلوك، ومن شرب الماء منعوك.

أنه الوالدة يحسين يبني ويمن ريت ذباحك ذبحني
اسعدني عله ابني يالتحبني

نعم، الزهراءعليها السلام لم تزل تبكي على الحسينعليه السلام وتدعونا لإسعادها ومشاركتها في عزائها:

بالله يشيعه من تطبـون لمجلس وليدي وبيه تگعدون
وياي أريدنكم تنوحـون ومن البواچـي ما تبطلون

* * *

شاركوني في ندبتي وبكائي واسعدوني يا شيعتي بعزائي
واندبـوا ظامئاً بغير رواء مات والماء حوله موفور

* * *

١ ـ الدرُّ النضيد١: ٥٩.



موقف الإسلام من الحاكم الجائر

المجلس الثالث:

موقف الإسلام من الحاكم الجائر

تهفو النفوسُ إلى معينكَ ظامية ... ولك المدامعُ كالهواتن جارية
أحسينُ. يا بدراً تألق نورُهُ ... فأضاء ظلمة ليلنا المتمادية
لم يبلَ مجدُكَ في الدهور وكرِّها ... إن أصبحت أمجاد غيرك بالية
يا واحداً ملأ الوجود كرامةً ... وكسى الحياة ثيابَ عزٍّ سامية
(تبكيك عيني لا لأجل مثوبة ... لكنما عيني لأجلك باكية)
تبكي لقلبك وهو ظامٍ مجهدٌ ... بشغافه نار المصائب وارية
ولجسمك القدسي وهو موزع ... لم تبق فيه ظبا الكتائب باقية
ولرأسك النوري وهو مخضبٌ ... بدمائه فوق الرماح العالية
ولدارك الشماء بعدك أصبحت ... قفراءَ موحشة الجوانب خالية
ظلماء مابين الديار وليس في ... أرجاءها إلا الأرامل ناعية
هذي تصيح أخي وتلك تصيح يا ... ولدي وأخرى يا حبيب فؤاديه

لم تبكِ إلا فجّرت ببكائها ونحيبها حتى القلوب القاسية*

* * *

ما ظلت بدارك ياالحسين غير اليتامه والنساوين
تتبادل الحسره والونين ودموم تسجب دمعة العين
هذي تصيح اهلي الميامين وهذي تصيح ابني مشه وين
والثالثة تلطم الخدين وتصيح وين اخوتي الطيبين

* * *

قال أبو عبد الله الحسين عليه السلام:

«أيها الناس إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى منكم سلطاناً جائراً، مستحّلاً لحرام الله، ناكثاً لعهده، مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، واحلوا حرام الله وحرموا حلاله، وأنا أحق من غير...».

هذا الحديث الذي رواه لنا أبو عبد الله الحسين عليه السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله من الأحاديث المهمة جداً؛ لأنّه يرتبط بموضوع مهم جداً في الفكر الإسلامي، وهو موضوع (شرعية الثورة على ولاة الجور).

(*) القصيدة والنعي لصاحب الكتاب، والبيت الخامس تضمين.

هذا الموضوع من المواضيع التي ظلت مثار الاختلاف بين المسلمين في السابق، وحدث فيها جدل كبير بين المسلمين. وفي بعض العصر الراهن نجد في بعض اتجاهات الفكر الإسلامي، وبعض الصيحات التي ترتفع بالدعوة إلى ترك الثورة ونبذ العنف، والدعوة إلى مذهب (اللاعنف) حيث راح البعض ينظّر له ويفلسفه إسلامياً وكأنّها دعوة إلى الفكرة التي تقول: (إذا صفعك أحد على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر)، بينما راح البعض الآخر يمارس عملية الثورة والعنف بعشوائية وكأنها السبيل الوحيد الذي يكفر من تركه.

وقد تبلور لدينا رأيان حول المسالة:

الرأي الأول: وهو ما ذهب إليه الشيعة، وقليل من السنة، وهو الرأي الذي يرى شرعية الثورة ضد الحكام الظالمين، بل وجوبها إذا ما توفرت الشروط اللازمة لها.

الرأي الثاني: هو ما يذهب إليه أكثر فقهاء السنة من عدم شرعية الثورة المسلحة ضد الحاكم المسلم حتى ولو كان فاسقاً جائراً. وكلٌّ يتمسك بأدلة خاصة.

فالرأي الأول له أدلته الكافية من القرآن والسنة. ونحن نقسم الأدلة إلى قسمين:

أولاً: الدليل اللفظي: وهو عبارة عن الآيات والروايات الشريفة الواردة عن رسول الله ﷺ وأهل بيته الكرام، والتي تفتح لنا منهجاً واضحاً في هذا الاتجاه، فمن الآيات: قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم

مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِّلْمُجْرِمِينَ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ۞ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ﴾[٣]، وهكذا الآيات التي تناولت موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٤]. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يستثنى فيه أحد، رئيساً كان أو مرؤوساً، وكما يقول الفقهاء: إنّ أدناه الإنكار بالقلب، وأعلاه الإنكار بالسيف، وغير ذلك من الآيات الأخرى.

وأمّا الروايات الشريفة فكثيرة أيضاً كالحديث المتقدم الذي رواه الحسين عليه السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله، وكقوله صلى الله عليه وآله: «**أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**»، وعندما كان يقص عليهم نبأ السلاطين الذين يأتون من بعده الذين ينكثون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل، قالوا ما نفعل يا رسول الله؟ قال: «**تكونون كأصحاب عيسى نشروا بالمناشير ورفعوا على الخشب، موت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله**»[٥]، وهكذا نلتقي في أحاديث ربيب الوحي وباب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام علي بن

١ ــ هود: ١١٣.

٢ ــ القصص: ١٧.

٣ ــ الشعراء: ١٥١ ــ ١٥٢.

٤ ــ آل عمران: ١٠٤.

٥ ــ الدر المنثور (السيوطي) ٣: ١٢٥.

أبي طالب عليه السلام بمثل هذه الأحاديث، كقوله عليه السلام في الخطبة الشقشقية: «**لولا حظور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها...**»، وفي وصيته للحسن والحسين عليهما السلام قال: «**وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً**».

ثانياً: الدليل الفعلي أو السلوكي: وهو موقف الأئمة عليهم السلام، وهكذا الصحابة الكرام من الظالمين، كموقف الإمام علي عليه السلام وصحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من معاوية بن أبي سفيان عندما قاتلوه بصفين، وموقف الإمام الحسين السبط عليه السلام من يزيد بن معاوية، وعلي والحسن والحسين وباقي الأئمة عليهم السلام هم حجة الحق على الخلق بالأدلة القطعية.

هذا، ويمكن الاستدلال له عقلاً بوجوب سد باب الفساد، باعتبار أنّ السكوت على ظلم الظالمين تشجيع للظلم على الانتشار، فيجب الثورة ضدَّهم لسدِّ هذا الباب، وإن كنا في غنى عن ذلك بعد كل تلك الأدلة المتقدمة.

لكن ينبغي أن تلحظ ظروف الثورة ونتائجها المترتبة عليها، فإنّ خط الثورة ليس هو الخط الوحيد في فكر أهل البيت عليهم السلام بخلاف الخوارج مثلاً، فهناك خط التقية الذي مارسه ودعا إليه أهل البيت عليهم السلام مع الحفاظ على الخط العام، وهو عدم شرعية الحكومة الجائرة وحرمة التعامل معها إلاّ في ما استثني في كتب الفقه. فليست قضية الثورة المسلحة ضد الظالمين قضية تتحرك في الفراغ، وتمارس كيفما كان، وإنّما تخضع لظروف موضوعية كثيرة. ولو مورست قضية الثورة بصورة عشوائية هوجاء ربما تسبب نتائج سلبية أكثر مما

تعطي نتائج إيجابية مفيدة. وبالتالي فلابد من دراسة الواقع في إمكاناته وملابساته دراسة دقيقة وواعية، ومن ثم تحديد المنهج الذي ينبغي تفعيله في الواقع سواء أكان منهج الثورة أم منهج التقية، فالمسألة ينبغي أن تتحرك في إطار العناوين الثانوية المتحركة.

وأما الرافضون لمبدأ الثورة من بقية المذاهب فإنّهم قد استدلوا بأدلة واهية، وأحاديث ضعيفة وضعت على لسان رسول الله ﷺ. وقد نسب إلى الأئمة الأربعة (أحمد ومالك والشافعي وأبي حنيفة) أنّ الصبر على أئمة الجور وإطاعتهم أولى من الخروج عليهم؛ لما في ذلك من الفساد، وسفك الدماء، وذهاب الأموال، وإن كان أبو حنيفة ينقل عنه غير ذلك من موقفه من الظالمين، وقد حبس لأجل ذلك، وموقفه من ثورة زيد رضي الله عنه موقف مشرف حيث أيدها، وأفتى بجواز دفع الحقوق الشرعية إليه لمساندته في ثورته، بينما أحمد بن حنبل نقلوا عنه رأياً أشد من هذا، وهو عدم جواز الخروج على الإمام حتى ولو تغلب بالسيف. وقد استدلوا على ذلك بعدة أدلة منقوضة، منها:

الأول: أنّ الخروج عليهم يؤدي إلى شق عصا المسلمين، وتشتيت صفوفهم، وسفك دمائهم، وتخريب بلادهم. فكأنّهم يريدون المسلمين كالأغنام تنتظر الذئب ليأكلها واحدة واحدة دون أن تفعل شيئاً، فإذا أراق الظالم الدماء، ونهب الأموال، واستباح الأعراض فلا باس بذلك؛ ولكن إذا أُريقت هذه الدماء في سبيل الحرية والكرامة فلا يجوز. أي مفارقة هذه! فإنّ هذه الأموال والنفوس ذاهبة سواء بالثورة أم بدونها.

نعم، إذا كان الظالم شرساً وكانت الأمة لا تمتلك القوة الكافية لذلك بحيث تكون الثورة أشبه بالعملية الانتحارية، قد يكون لذلك وجه وجيه.

الثاني: ومن الأدلة التي ذكروها أنّ بعض الصحابة عاصروا بعض الظالمين، ورأوا بأم أعينهم الكوارث التي ارتكبوها بحق الأمة، ولكنّهم لم يحركوا ساكناً؛ ولكن ذلك غير تام إطلاقاً؛ لأنّ سيرة الصحابة ليست حجة علينا، لأنّ الله لم يجعل لها الحجية ولا رسوله. نعم، قد نستفيد منها كمؤيد لحكم شرعي بأن نحمل عملهم على الصحة، ونبني على أنّهم يستندون في أعمالهم إلى الحكم الشرعي، وهذا محل كلام أيضاً، هذا كله من جهة.

ومن جهة أخرى نقول: من قال بأنّ الصحابة سكتوا عن الظالمين، وقد كان جيش أمير المؤمنين عليه السلام مليئاً بالصحابة الكرام، وهكذا أغلب الثورات التي حدثت آنذاك فقد اشترك فيها الصحابة، سواءً ثورة الإمام الحسين عليه السلام، أم ثورة المدينة، أم الكوفة، وهناك نماذج متألقة في سماء الثورة والجهاد من الصحابة الكرام، من أمثال أبي ذر، وعمار بن ياسر، وحجر بن عدي الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وغيرهم كثير. إلا إذا كانوا يقصدون بعض العناصر المتخاذلة، أو الذين أصبحوا مطية للظالمين طمعاً في حطام الدنيا الزائل.

الثالث: الروايات التي رووها عن رسول الله ﷺ من مثل: (إنّكم سترون بعدي إثرة وأمور تنكروها. قالوا: فماذا تأمرنا يا رسول الله؟ قال: أدّوا إليهم حقهم وسلوا الله حقكم ومن رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه)[١].

وفي حديث آخر: (تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك)[٢]، وغيرها من الأحاديث الأخرى التي تخدّر الأمة باسم الدين، وكما يصف بعض الكتّاب حال المواطن في بلادنا ويقول: (واحد يأخذ برأسه، والثاني يفرغ كيسه من المال، والثالث يقرأ في أذنه: أخي لا تهتم، لا ترفع صوتك، يؤجرك الله غداً).

وهذه الروايات إما أن نؤولها ونحملها على بعض المحامل، أو نطرحها جانباً؛ لمخالفتها للقرآن الكريم، وسنة رسول الله ﷺ وروح الإسلام التي تدعو إلى العز والحرية، وتندد بالذل والعبودية للآخرين، فيقول الإمام علي عليه السلام: «**لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً**».

ينقل أنّ المنصور بعث يوماً وراء ابن طاووس، فجاء إليه، فقال له: لماذا لا تأتينا؟ قال: نهاني الله أن آتيك. قال لماذا؟ قال: إنّ الله يقول: ﴿**ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار**﴾. قال ناولني الدواة التي بجنبك. قال: كلا. قال لماذا؟ قال: إنّي أخاف أن تكتب بها معصية لله فأكون شريكك في إثمها. قال له: ألك حاجة؟ قال: نعم، أنّ لا تبعث ورائي حتى آتيك.

---

١ ــ الانتفاضات الشيعية (الحسيني): ٩١.

٢ ــ رواه مسلم في صحيحه.

هكذا لا بد أن يكون الموقف من الظالمين، فهذه الروايات وضعها الظالمون لتخدير الأمة بأسم الدين، وشل حركتها.

وعلى كل حال، فهذه الروايات تركت تأثيرها الكبير على الفكر الإسلامي، وعلى الرأي العام الإسلامي آنذاك، فشلّت حركت الأمة تماماً؛ لأنّ الأمة تطلب المبرر الشرعي لكل حركة تتحركها ولو بسيطة، فكيف بحركة كبيرة كالثورة المسلحة، التي ربما يكون ثمنها باهظاً في الأرواح والأموال؟! لهذا كان على الحسين عليه السلام وهو يريد أن يغير واقع الأمة ويضعها في مسارها الصحيح أن يغير الصورة التي رسمتها أيدي الظالمين وأعوانهم من وعاظ السلاطين، وأن يعطي للأمة الحكم الشرعي الصحيح، والموقف الاسلامي السليم تجاه الحكام الجائرين. من هنا نراه عليه السلام يبتدأ خطبته بالحديث النبوي الشريف الذي يعطي الموقف الشرعي الحاسم تجاه الظالمين، حتى يصحح ما عَلِق بأذهانهم من مفاهيم خاطئة، ويعطيهم المبرر للثورة. فقال: **«أيها الناس، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى منكم سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرام الله، ناكثاً لعهده، مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»**.

فهذا الحديث يدل دلالة واضحة على وخامة ممالأة الظالمين، وأنّ الذي يسكت عن ظلمهم سوف يدخل مدخلهم وهو جهنم وساءت مصيراً. فعلى المؤمن إذا رأى ظلماً في مكان ما أن يغيّره بقول إن كان ينفع القول، أو بفعل أي ثورة مسلحة، وبهذا أعطى الحسين عليه السلام المبرر الكافي للأمة في الكفاح المسلح.

وبعد أن بين القاعدة وأعطى الحكم حاول أن يطبق القاعدة على المصاديق، فقال: «**ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن...**».

فبيّن عليه السلام أنّ بني أمية انحرفوا عن خط الإسلام الصحيح على عدة محاور:

المحور الأول: الانحراف الديني، وعبر عنه بقوله: «**لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن**».

المحور الثاني: الفساد والانحراف الاجتماعي، وعبّر عنه بقوله: «**وأظهروا الفساد**».

المحور الثالث: الانحراف الاقتصادي، وعبّر عنه بقوله: «**واستأثروا بالفيء**»، فالانحرف على هذه المستويات كان مطبقاً على الأمة الإسلامية آنذاك.

والآن دعنا نقلب أوراق التاريخ لنرى مصداقية كلام الإمام عليه السلام؛ أمّا بالنسبة إلى الأمر الأول، فمما لا شك فيه أنّ إسلام معاوية ويزيد كان محل شك وريب فضلاً عن فسقهما، حتى إنّ البيهقي كان يقول: (خرج معاوية من الكفر إلى النفاق في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعده رجع إلى كفره الأصلي)، فهو من دون شك من الطلقاء الذين آمنوا تحت ظل السيف، وحتى عندما دخل أبو سفيان الإسلام مكرهاً ــ أقول مكرهاً؛ لأنّ أبا سفيان لم يدخل الإيمان في قلبه قط ــ. فعندما وصل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أطراف مكة دخل عليه أبو سفيان مع العباس بن عبد المطلب، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**أما آن لك أن تؤمن بالله؟**» قال: لو كان لنا إلهاً غير الله لنفعنا يوم بدر! قال: «**أفلا تؤمن بأني رسول الله؟**» قال: أما هذه ففي النفس منها شيء!! فقال للعباس: «**أمره على كتائب الفتح ليرى جند الإسلام وهيبتهم**»، فجاء به العباس حتى أوقفه بين

الجبلين، ورأى كتائب المسلمين يتلو بعضها بعضاً، قال للعباس: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما؟! قال: ويحك ليس الملك ولكنّها النبوة.

وعندما وصل الأمر إلى عثمان بن عفان صاح بهم تلقفوها يا بني أمية تلاقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من جنة ولا نار، وأمر عبده أن يقوده إلى القبور، فجاء به حتى أوقفه على قبر حمزة سلام الله عليه، فركله برجله وقال: قم يا أبا عمارة فإنّ الأمر الذي تجالدنا عليه أصبح لعبة بيد صبياننا.

وروى ابن عبد البر في (الاستيعاب) عن عبد الله بن الزبير أنّه رأى أبا سفيان يوم اليرموك، وكان إذا ظهرت الروم صاح إيه بني الأصفر، وإذا كشفهم المسلمون، قال:

وبنو الأصفر الملوك ملوك الروم لم يبقَ منهم مذكورُ

فلما حدث به أباه قال: قاتله الله يأبى إلا نفاقاً.

على كل حال، فعندما دخل أبو سفيان في الإسلام ظاهراً كتب له معاوية شعراً يندد به وبإسلامه فيقول:

يا صخر لا تسلمن يوماً فتفضحنا بعد الذين ببدر أصبحوا مزَقا
خالي وجدي وعم الأم ثالثهم وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا
لا تركننَّ إلى أمر تكلفنا والراقصات به في مكة الخرقا

وقصته عندما سمع الأذان معروفة، حيث إنّه ــ كما ينقل المغيرة بن شعبة ــ عندما سمع المؤذن يقول: (أشهد أنَّ محمدا رسول الله)، قال: ألا دفناً دفناً.

وأمّا ابنه يزيد فحدث عنه ولا حرج. فهو المتمثل بأبيات إبن الزبعرى عندما جاءه رأس الحسين عليه السلام.

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القوم من ساداتهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

وكان يعاقر الخمرة، ويلعب بالقردة والكلاب، ويصوره لنا بولس سلامة أدق تصوير عندما يقول مخاطباً مؤذن الصباح:

رافع الصوت داعياً للفلاح خفّف الصوت في أذان الصباح
وترفق بصاحب العرش مشغولاً عن الله بالقيان الملاح
ألف الله أكبر لا تساوي بين كفي يزيد نهلة راح
أيّها المؤذن المبكر لا تهتف وإن شئت فاعتصم بالبحاح

وقد نقلوا عنه شعراً بهذا المضمون يستخف فيه بالصلاة فيقول:

معشر الندمان قوموا واسمعوا صوت الأغاني
واشربوا كأس مدامٍ واتركوا ذكــر المغاني
اشغلتني نغمة العيدانِ عن صــوت الأذان
وتعوضت عن الحور خموراً في الدنان

فهؤلاء عندما تسلطوا على رقاب المسلمين حاولوا أن يفسدوا الحالة الإسلامية كلها، فعلى مستوى العقائد حرفوا العقائد الصحيحة، وابتدعوا

عقائد جديدة، كعقيدة الجبر والارجاء، وعلى مستوى الحديث حرّفوا أحاديث رسول الله ﷺ ووضعوا أحاديث جديدة شوهوا من خلالها صورة الإسلام الناصعة، وكما يقول الكميت الأسدي:

وعُطلت الأحكامُ حتى كأنّنا على ملةٍ غير التي نتنحلُ

أضف إلى ذلك استخفافهم بأحكام الله، وتغييرهم لسنة رسول الله ﷺ. من قبيل استحلالهم للربا، وأكلهم في أواني الذهب والفضة، واستلحاقهم لزياد بن أبيه، والنبي ﷺ يقول: «**الولد للفراش وللعاهر الحجر**» وغير ذلك من التجاوزات الجريئة على سنة سيد المرسلين، التي عبر عنها الإمام الحسين عليه السلام بقوله: «**لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأحلوا حرام الله وحرّموا حلاله**».

وأما الحالة الإجتماعية فقد كانت تعيسة للغاية، والفقر والحرمان، والرعب والإرهاب كان من سمات ذلك العصر المظلم. وعلى حدِّ تعبير الوليد بن يزيد الأموي:

فنحن المالكون النــــاس طراً نسومهم المذلـــــة والنكالا
ونوردهم حياض الموت ذلاً وما نألوهم إلا خبالا

حيث كان زياد بن أبيه وهو من ولاة معاوية يسمِّل الأعين، ويقطِّع الأيدي والأرجل من خلاف، ويصلِّب الناس على جذوع النخيل، وهكذا ولده الخبيث عبيد الله الذي زاد عليه مرات ومرات.

وفي جانب آخر نرى جند معاوية يغيرون على الأمصار فيوسعوها نهباً وسلباً، وقتلاً وصلباً، فقد أغار بسر بن أرطاة على مكة والمدينة واليمن فنهب

وسلب وقتل، ولم يرحم حتى الطفل الصغير، فقتل ولدي عبيد الله بن عباس الصغيرين، وأغار سمرة بن جندب على البصرة فقتل منها ثمانية آلاف نسمة، وسبى نساء هَمْدان، العشيرة الموالية لأمير المؤمنين عليه السلام وباعهن في السوق.

وقد وقع القسط الأكبر من الظلم والحيف على شيعة أمير المؤمنين عليه السلام حيث قد عمم معاوية بن أبي سفيان كتابا على الأمصار جاء فيه: (انظروا من قامت عليه البينة أنّه يحب علي بن أبي طالب فامحوه من الديوان، واقطعوا عطاءه ورزقه، واهدموا داره) فمُزِق شيعة أهل البيت كل ممزق.

وعلى المستوى الاقتصادي كان الظلم واضحاً فيه، ولأنّ بني أمية كما يقول الحسين عليه السلام: «**واستأثروا بالفيء**» وراحوا يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع كما يقول الإمام علي عليه السلام في (نهج البلاغة). فامتصوا دماء الفقراء وحاربوهم في لقمة عيشهم، وفرض معاوية على الناس ضريبة النوروز ومقدارها عشرة ملايين درهم، وأمر زياد أن يصطفي له الصفراء والبيضاء من الناس.

فعاشت الأمصار الإسلامية ضيقاً وحرجاً شديداً للغاية إلاّ الشام فإنها كانت مرفهة مالياً، ولهذا لما زار معاوية المدينة استقبله أهلها حفاة عراة، فقال لهم: ما منعكم من تلقيَّ كما يتلقاني الناس؟! فقال له أبو قتاده الأنصاري أو سعيد بن عباده[١]: منعنا من ذلك قلة الظهر، وخفة ذات اليد، وإلحاح الزمان

١ ــ في كتاب حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي أنه سعيد، وفي (الاستيعاب) لابن عبد البر أنّه أبو قتادة الأنصاري، والبعض يرى أنّه قيس بن سعد بن عبادة.

علينا، وإيثارك بالفيء غيرنا (أي إنّ الأموال تذهب إلى الشام فقط عاصمة الدولة الأموية وأنصار معاوية بن أبي سفيان).

قال له: وأين ذهبت عنكم نواضح المدينة؟! (مستهزئاً بهم؛ لأنّهم كانوا يعيرون بالزراعة والسقي). قال له: لقد نحرناها يوم بدر يوم قتلنا حنظلة بن أبي سفيان.

فالفساد قد عمَّ الأمة الإسلامية آنذاك من جميع الجوانب، هذا يقول الإمام الحسين عليه السلام: «ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا الفيء، وأحلوا حرام الله، وحرَّموا حلاله». ثم يقول: «**وأنا أحق من غيّر**».

لماذا الحسين عليه السلام أحق من غيّر؟ ومن أين أتت هذه الأولوية؟

كأنّ الحسين عليه السلام يريد أن يلفت انتباهنا إلى أنّ التغيير هو مسؤولية النخبة أولاً وقبل كل شيء، مسؤولية العلماء والمفكرين والوجهاء والأدباء والمثقفين.

يقول الإمام علي عليه السلام: «**وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم**». فالمسؤولية في التغيير وإن كانت عامة، إلاّ أنها تتركز بحق النخبة الواعية في المجتمع. فإذا كانت النخبة غائبة أو مغيّبة فلن يكون التغيير ممكناً أبداً؛ لهذا يقول الإمام علي عليه السلام: «**وما أخذ الله على العلماء**»؛ لأنّه إن سكت العالم عن الفساد، ولم يقم بعملية التغيير في الأمة سكت العوام باعتبار أنّه يمثل بالنسبة لهم موقع القدوة.

إذن الحسين كان الرجل الأول في الأمة الإسلامية، والأنظار كلها مشدودة إليه، فلابد أن يترل إلى الساحة ويقود مسيرة التغيير. وفعلاً اتخذ الحسين قراره

بذلك، وقرّر أن يخرج من المدينة لكي يصحح مسار الأمة، ويضعها على طريق التغيير الشامل والكامل.

وقبل أن يخرج مرَّ على قبر جده رسول الله ﷺ شاكياً ممّا ألَمَّ به من مصائب وهموم، هي في الواقع هموم الأمة لا الهموم الشخصية؛ لأنّ الحسين عليه السلام لو أراد أن يعيش حياة الدعة والرفاهية لكان باستطاعته ذلك. فصلى ركعتين، ثم رفع يديه بالدعاء، وجعل يبكي على القبر الشريف ليلاً، فنام على القبر، وإذا برسول الله ﷺ يأتيه في المنام ومعه كتيبة من الملائكة، ورعيل من الأنبياء، فضمه إلى صدره، وقبّل ما بين عينيه، ثم قال: «**حبيبي ياحسين كأني أراك عن قريب مرمّلاً بدمائك، مذبوحا بأرض كربلاء في عصبة من أمتي، وأنت مع ذلك عطشان لا تسقى، وضمآن لا تروى. حبيبي حسين إن أباك وأمَّك وأخاك قدموا عليَّ وهم مشتاقون إليك، وإن لك في الجنان درجات لن تنالها إلا بالشهادة**»، فجعل الحسين ينظر إلى جده في المنام ويقول: (ياجدّاه لا حاجة لي في الرجوع إلى الدنيا، خذني إليك، وأدخلني معك في قبرك)، وقد مثلها أحسن تمثيل الشيخ الدمستاني في مرثيته الرائعة، وهي:

ضمّني عندك يا جداه في هذا الضريح ... علّني يا جد من بلوى زماني استريح
ضاق يا جدّاه من رحب الفضا كل فسيح ... فعسى طود الأسى يندك بين الدكتين
جدّ صفو العيش من بعدك بالأكدار شيب ... وأشاب الهمّ رأسي قبل إبّان المشيب
فعلا من داخل القبر بكاء ونحيب ... ونداء بافتجاع يا حبيبي يا حسين
ستذوق الموت ظلماً ظامياً في كربلاء ... وستبقى في ثراها ثاوياً منجدلا
وكأنّي بلئيم الأصل شمرٍ قد علا ... صدرك الطاهر بالسيف يحزّ الودجين

* * *

وصل ويلي لگبر جده وبچه حسين يودعه والدمع يهمل من العين
هوه فوگ الضريح وصاح صوتين يجدي مفارجك غصبن عليه
يجدي بوسط گبرك ضمني وياك تراني الضيم شفته عگب عيناك
يگله ياحبيبي وعدك هناك تروح وتنذبح بالغاضرية
تروح وتنذبح يحسين عطشان وتبگه عله الأرض مطروح عريان
ويظل جسمك لعند الخيل ميدان ولا تبگه من ظلوعك بجيه
ومضى لهيفا لم يجد غير القنا ظلاً ولا غير النجيع شرابا

* * *

ومضى لهيفاً لم يجد غير القنا ظلاً ولا غير النجيعِ شراباً



موانع الإيمان

المجلس الرابع:

موانع الإيمان

يابن النبي لك الولاء المطلق منّا فإنّا في فضاك نحلّق
نبقى نعيش بذكر يومك دهرنا وقلوبنا بنديٍّ حبك تخفق
فلأنت نور الله لاح بكوننا والنور تنشده النفوس وتعشق
أولاك ربك كل خلق أكمل من قبل ما تبرى الأنام وتخلق
فسماحة عاش الأنام بظلها وفصاحة منها يفيض المنطق
وشجاعة تعيى العقول بوصفها منها ضراغمة الكتائب تفرق
تلقى بها بُهُم الكتائب مفرداً والبيض تقصف والأسنة تبرق
والصيد تعبس للمنون وجوهها والوجه منك لدى الكريهة مشرق
فسقيت أعداك الحمام بصارم يعلو الرؤوس من القروم ويفلق
حتى أضر بك الظماء مبرّحاً منك الحشا ولظى الهجيرة محرق
فوقعت من ظهر الجواد على الثرى لهفان تسبح بالدماء وتغرق
حيران لا من ناصر بين العدى أو راحمٍ يحنو عليك ويشفق
لهفي لأختك مذ رأتك موزعاً ترب الجبين وفيض نحرك يدفق

والوجه بالحجر اللئيم مهشم والقلب بالسهم النصيل ممزق
أحنت عليك ظلوعها في لوعة كادت بها نفس العقيلة تزهق
وبكت ونار الحزن تلهب قلبها وغدت بكف فوق كف تصفق*

* * *

ابن والدي يازاچي الجد شفتك عله الرمضه امدد
وجروح جسمك ماالهن عد وكلهن يخويه بحاجة الشد
شسوي العده لو جازت الحد وآنه غريبه ومالي أحد

* * *

قال تعالىٰ:

﴿**وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾[1].

تتعرض الآية المباركة إلى أحد الأسباب التي تمنع الناس من الإيمان والهدى وأتباع الرسل، فهناك موانع كثيرة تمنع الناس من اتباع الهدى والحق من أهمها:

١ ـ **الجهل**: وهو من أخطر الموانع التي تقف عائقاً دون اتباع الناس للهدى؛ لأنّ الجاهل يجمّد عقله ويكبله بقيود ثقيلة تمنعه من التفكير الحر، فأساس جحود الناس هو الجهل. من هنا ترى الجاهل يعبد صنماً لا يضر ولا ينفع، ولا يرفع ولا يدفع، وربما كان من تمر يأكله عندما يجوع، وقسم آخر

(*) القصيدة لصاحب الكتاب.

١ ـ القصص: ٥٧.

يعبد بقرة يقدسها ويحترمها، ويضحي من أجلها بحياة الناس، كما حدث ذلك في الهند، حيث أودى بعض السواق بحياة مجموعة من الموطنين في سبيل أن يتجنب إيذاء تلك البقرة.

ولهذا قام إبراهيم بتعليق الفأس في رقبة كبير الأصنام عندما حطّم الأصنام، ولما جاؤوا ووجدوا الأصنام محطمة: **﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۞ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾**[1] وجاؤوا بإبراهيم عليه السلام وقالوا: **﴿قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾**[2] عند ذلك سخر منهم، وأراد أن يبين لهم ضحالة تفكيرهم: **﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلاَ يَضُرُّكُمْ ۞ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾**[3]، فإذا كانوا لا ينطقون فكيف تعبدونهم؟! ثم أنتم ترجون أن يدفعوا عنكم الضر فكيف يمكن ذلك وهم لا يستطيعون دفع الضر عن أنفسهم، فإن فاقد الشيء لا يعطيه؟ وصدق أمير المؤمنين عليه السلام عندما قال: **«الناس أعداء ما جهلوا»**.

ويقول القرآن الكريم: **﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ﴾**[4].

الناس عندما تحجم عقولها تقتنع حتى بالمتناقضات، يقول لك البعض: إنّ سيدنا يزيد رضي الله عنه قتل سيدنا الحسين رضي الله عنه؟! تقول له: كيف

---

١ ـ الأنبياء: ٥٩ ـ ٦٠.

٢ ـ الأنبياء: ٦٢ ـ ٦٣.

٣ ـ الأنبياء: ٦٦ ـ ٦٧.

٤ ـ يونس: ٣٩.

يعقل ذلك؟ كيف يقاس البر بالفاجر؟ وكيف يكون الظالم والمظلوم بمنزلة سواء؟! مالكم كيف تحكمون!!

يقول لك: دعك عن ذلك فكلهم عدول مجتهدون اجتهدوا فأخطأوا ولكل أجره.

وفي يوم من الأيام يسمع الأمام أبو زرعة الرازي رجلاً ينال من معاوية، فقال له: لماذا تفعل ذلك؟ قال: لأنّه قاتل إمام الحق علي بن أبي طالب عليه السلام. قال: يا هذا، إنّ رب معاوية رحيم، وخصمه كريم فأيش دخولك بينهما.

٢ ـ **التقليد الأعمى**: وأقصد به التقليد الذي لا يكون عن بصيرة ووعي، وإلاّ فلدينا تقليد واعٍ وصحيح، وهناك تقليد أعمى ليس قائماً على أي دليل، بأن يعتبر الإنسان أنّ كل ما جاء به السلف هو الصحيح حتى لو كان مخالفاً لبديهيات العقل، ويرفض كل ما خالفهم حتى ولو كان الحق كله. هذا هو العائق دون الوصول إلى الحقيقة، وهو الذي كان عقبة كأداء أمام دعوة الأنبياء عليهم السلام، يقول تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ**﴾[1].

فالناس نشأوا على دين معين، وعلى عقائد وأخلاق وعادات موروثة، وعندما يأتي النبي ويقول لهم: اتركوا هذه العادات والتقاليد، يقولون له: مضى على طريقتنا هذه مئات السنين، وقد مضى عليها آباؤنا وأجدادنا، فهل من

---

١ ـ الزخرف: ٢٣.

المعقول أنّهم على خطأ وأنت فقط على صواب: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾[١].

هذه النزعة تغلغلت عند المسلمين أيضاً، فصارت عائقاً دون تطورهم ووصولهم إلى الحق. حتى إنّك عندما تريد أن تناقش بعض القضايا الدينية مناقشة علمية موضوعية تراك تصدم بجدار حديدي لا يمكن النفاذ منه، وتحارب محاربة لا هوادة فيها، وتقبل إليك فتاوى التكفير من كل حدب وصوب.

هذا هو التقليد الذي حاربه الإسلام. فالإسلام يقول لك اجعل دليلك عقلك لا الرجال؛ لأنّه ليس كل ما تعوَّد عليه الناس صار حقاً، فربَّ مشهور لا أصل له، وعمل الأجيال المتعاقبة والتزامها بفكرة ما ليس دليلاً على صحتها في نفسها، قد تكون هذه الفكرة التي تعتقد بأنها الحقيقة المطلقة أساسها خرافة من الخرافات، وبدعة اعتاد عليها الناس حتى أصبحت من المسلمات عندهم.

إنّ التراث ليس كله مقدساً، بل فيه ما هو مقدّس، وهو كلام الله ورسوله وأهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين، وفيه ما هو ليس مقدساً ــ أعني بالمقدس المعصوم الذي لا يقبل الخطأ ــ وهو كلام العلماء واجتهاداتهم؛ لأنّ الفكر البشري نسبي بكل ما لهذه الكلمة من معنى، باعتبار أن المجتهد يخضع في اجتهاده إلى ظرفه الزمني والنفسي والثقافي، ولا غرو فالإنسان ابن بيئته، وعليه فهو قابل للخطأ بنسبة كبيرة، و لم يدع أحد لنفسه العصمة.

---

١ ــ سورة طه: ٥١.

على هذا فنحن نجتهد كما اجتهد آباؤنا وأجدادنا، ونعرض ما لديهم على الدليل فإن وافقه أخذنا به وإلاّ فلا، ولا نكون كبعض الذين تحدث عنهم القرآن الكريم فقال: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ**﴾[1].

الإسلام يقول لك فكر، شغل دماغك، فالتفكير في الإسلام أرقى عبادة؛ لأنّه يكسر جدار التقليد، وينفتح على الواقع. ومن مفاخر الإسلام أنّه يدعو للانفتاح والتفكر، ولا يرضى لاتباعه السطحية والسذاجة والجمود في العقائد والمفاهيم والأحكام؛ لكن بشرط أن يكون الإنسان مؤهلاً لذلك حتى لا تكون شريعة الله ميداناً لكل من هبّ ودبّ.

٣ ــ **التعصب البغيض**: فالنفوس التي تعشعش فيها العصبية لا يمكن أن تنفتح لقبول الحق والهدى. فإبليس كان من العباد النساك، لكن العصبية كانت قد سيطرت عليه تماماً فأخرجته من ولاية الله ورحمته، عندما رفض السجود لآدم عليه السلام وقال: ﴿**أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾[2].

ويروي لنا المؤرخون أنّ أبا جهل مرَّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصافحة، فقيل له في ذلك، فقال: والله إنّي لأعلم أنّه لصادق، ولكن متى كنّا تبعاً لبني عبد مناف[3] باعتبار أنّه من بني مخزوم.

١ ــ الأعراف: ١٠٤.

٢ ــ الأعراف: ١٢.

٣ ــ مجمع البيان (الطبرسي) ٤: ٣٩٤.

وفي نص آخر قال: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف فأطعموا وأطعمنا، وكسوا وكسينا، وحملوا وحملنا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء، والله لا نؤمن به ولا نصدقه. يقول تعالى: ﴿**إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ**﴾[1]، ويقول: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ**﴾[2].

وبعد أن أخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بيد علي عليه السلام في غدير خم، وقال: «**من كنت مولاه فهذا علي مولاه**»، ورجع إلى المدينة فجاءه النعمان بن الحارث الفهري، وقال: يا رسول الله أمرتنا بالجهاد والحج والصوم والصلاة فقبلناها، ثم لم ترضَ حتى نصبت علينا هذا الغلام فقلت: «**من كنت مولاه فهذا علي مولاه**»، فهذا شيء من عندك أم من عند الله؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**والله الذي لا إله إلا هو إنَّ هذا من عند الله**»، فولّى النعمان وهو يقول كما يحدثنا القرآن الكريم: ﴿**اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[3]، فما مشى إلاّ خطوات حتى وقعت عليه حجارة من السماء وقعت على رأسه وخرجت من دبره، فنزل قوله تعالى على بعض الروايات: ﴿**سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۞ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۞ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ**﴾[4] فلاحظ العصبية البغيضة بدل

---

١ ــ الفتح: ٢٦.

٢ ــ البقرة: ٢٠٦.

٣ ــ الأنفال: ٣٢.

٤ ــ المعارج: ١ ــ ٣.

أن يقول: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه، يقول فأمطر علينا حجارة من السماء!!

وكثير من الذين خالفوا أمير المؤمنين عليه السلام خالفوه للعصبية التي في نفوسهم والحسد والحقد الدفين، ولهذا نرى أنّ الحسين عليه السلام عندما احتج على القوم الذين خرجوا لقتله، وذكر لهم مترلته من الله ورسوله قالوا له: إنّما نقاتلك بغضاً منا لأبيك.

٤ ـ **الانغماس في بحر الماديات:** فالغارق في المادة والشهوات واللهو واللعب من الصعب عليه أن يؤمن بالله تبارك وتعالى وما جاء من الحق من عنده؛ وذلك لسببين:

الأول: أنّه قد ران على قلبه ما يعمل من المعاصي والفجور، فلا تشرق نفسه بنور الحق، ولا يرى ضياء الهدى في قلبه.

والثاني: أنّ الإسلام يمنعه من كثير من أعماله القبيحة التي اعتاد عليها، فأصبحت جزءاً من كيانه يقول تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[1].

٥ ـ **الخوف من فقدان بعض الامتيازات المادية:** أحد الأسباب التي تقف حائلا دون إيمان الناس هو الخوف من فقدان بعض الإمتيازات المادية، وإليه تشير الآية الكريمة: ﴿**وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا**﴾[2]، فقد

١ ـ النحل: ١٠٧.

٢ ـ القصص: ٥٧.

كانت مكة مدينة آمنة طوال السنين التي سبقت الإسلام، يحترمها الجميع ويهابها؛ لأنّها موضع بيت الله الحرام الذي يحجون إليه في كل سنة؛ ولأنها محمية وأهلها من قبل الله، ما أرادها جبار بسوء إلا قصمه الله تعالى، والكل يتذكر قصة ابرهة الحبشي وجنوده عندما جاء ليحتل مكة ويهدم البيت الحرام، فهرب منه أهل مكة جميعهم إلا عبد المطلب عليه السلام لم يهرب منها، وقال: (إن للبيت رباً يحميه)، وكان يرتجز بذلك الرجز المعروف:

يارب لا أرجو لهم سواكا يا رب فامنع عنهم حماكا

إن عدو البيت من عاداكا إنهم لن يقهروا قواكا

فـ ﴿أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾[1]، هذه الحادثة عززت من مكانة أهل مكة بين القبائل العربية، وهكذا كان وجود الأصنام فيها، حيث كان لكل عشيرة صنم منصوب على ظهر البيت، حتى بلغ عددها ثلاثمائة صنم يحج إليها العرب في كل سنة، يستقسمون بها ويقدمون إليها القرابين والنذورات.

أضف إلى ذلك كله أنّ مكة كانت قاحلة قفراء، ليس فيها منابع للعيش ولا مصادر للرزق إلاّ التجارة، حيث كانت القبائل تحج إليها في الموسم، فتتم هناك مبادلات تجارية مهمة؛ لهذا شجعها ذلك على التجارة، وقامت بالرحلتين: (رحلة الشتاء ورحلة الصيف)، في الشتاء كانت تذهب إلى الشمال وتأتي بالسلع التي تصنع في الروم والشام، وفي الصيف كانت تذهب

---

١ ـ الفيل: ٣ ـ ٥.

إلى اليمن لتأتي بالبضائع التي تصنع في الحبشة، فالخط التجاري بين الشمال والجنوب كان بيد المكيين تقريباً، حتى إنّ المؤرخين يقولون إنّ الأموال التي كانت مع أبي سفيان عندما أغار عليه المسلمون قبل بدر كانت ألف بعير مضافاً إلى خمسين ألف دينار، وكانت لهم علاقات تجارية مع العراق الذي كان يسيطر على التجارة فيه الفرس آنذاك، خصوصاً تجارة الحرير والعطور التي كانت تصل من الهند.

يأتون بالبضائع المختلفة من الشمال والجنوب إلى مكة وينتظرون الموسم ليبيعوها إلى الوافدين، وكانت عندهم أسواق كسوق عكاظ مثلاً وغيره، وكانت هناك عندهم مصارف ربوية تقرض المحتاج بفائدة، فقد يأتي بعض التجار إلى مكة ويرى بعض البضائع وليس عنده المال الكافي لذلك، فيقترض منهم بفائدة. هذه التجارة النشطة حدت بالمكيين أن يرتبوا وضعهم الأمني حفاظاً على قوافلهم التجارية؛ لأنّ أي اضطراب أمني سوف يعرض تجارتها للخطر، وهذا ما لا ترغب فيه على الإطلاق؛ لهذا كانوا يعتذرون عن عدم إيمانهم بالرسول ﷺ بأنّهم إذا آمنوا به سوف يفقدون أمنهم؛ لأنّهم سيفقدون مكانتهم عند العشائر الأخرى، وإذا فقدوا أمنهم فقدوا تجارتهم، أو فقدوا كل شيء لهذا تتحدث عنهم الآية الكريمة، وتقول: ﴿**وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا**﴾[١]، أي نفقد امتيازاتنا المادية، ولسنا مستعدين لذلك من أجل الدين.

١ ـ القصص: ٥٧.

نعم، الدين قد يتطلب ضريبة من الإنسان، وضريبة كبيرة جداً، قد تكون ماله، أو نفسه، أو أهله، وقليل هم الذين لديهم الإستعداد لدفع هذه الضريبة؛ لأنّ الإنسان يحب أن يأخذ فقط، ويكره أن يعطي حتى ولو مرة واحدة فقط.

الآية الكريمة ترد عليهم، وتقول: ﴿**أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾[1]، تقول لهم: من أين أتاكم هذا الأمن و هذا المال؟ من الله قطعاً: ﴿**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۞ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**﴾[2] فلتكن ثقتكم بالله كبيرة فهو الذي أعطاكم هذه الامتيازات، وهو الذي يستطيع أن يوفرها لكم في المستقبل.

وفعلاً لما دخل أهل مكة في الإسلام ازدادوا أمناً، لأنّ الله تشدّد في حرمتها كثيراً، حتى حرَّم أن تقتل بها البعوضة، وإن كان بنو أمية لم يحفظوا حرمة البيت، فقد رموه بالمنجنيق، وأراقوا الدماء فيه، ولهذا نرى الحسين عليه السلام استعجل في الخروج من البيت الحرام؛ لأنّه كان يخشى أن تنتهك به حرمة البيت، فهو يعرف أنّ بني أمية لايهابون حرمة مكة ولاغيرها، وقد انتهى إليه عن جده أن كبشاً يقتل في البيت تنتهك به حرمة البيت، فلهذا أحل إحرامه بعد أن عرف أنّ بني أمية أرسلوا مجموعة من أوباشهم وأمروهم بقتل الحسين عليه السلام ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة، فخرج من البيت حفاظاً عليه

---

١ ــ القصص: ٥٧.

٢ ــ قريش: ٣ ــ ٤.

فأثابه الله بأن جعل له بيتاً تهوي إليه النفوس، وتحج إليه من كل فجٍّ عميق، يخاطبه بعض الشعراء قائلاً:

من مثلك يبو السجاد سوّه الهلخلگ منهج
ومن مثلك حافظ عله البيت وامسه الكون بيه يلهج
لمـــن علم رب البيت سر البيه تركت الحج
سوّه لشخــصك بعـــــاشور موقف للقيـــامة ينور
واصبح بيتك المعمور واللي يگصد يزوره رجح عليحج ميزانه

* * *

شرف تربتك علبيت چي لنك حفظت البيت
ومن طلعت بظعونك وبيهـــه لكربله اتعنيت
لبست حرامك ولبيت بالحر لمـــن تلاگـــيت
اوصلت لكربله يحسين تلبي لصوت داعي الدين بنيت لحجك صواوين
مثل ما يطلع الحجي لوادي منه بصيوانه

نعم، ذلك الجسد الممزق الذي ظل ثاوياً على الرمضاء ثلاثاً بلا غسل ولا كفن بنى الله له بيتاً في القلوب، وجعل أفئدة الناس تهوي إليه، ففي كل قلب عزاء قائم، ومأتم منصوب.

لَوَن ظليت فوگ الترب نايم ولا حضرت لتشييعك الوادم
إلك بگلوبنه ننصب ميـــاتم وننوح عليك كل صبح ومسيه

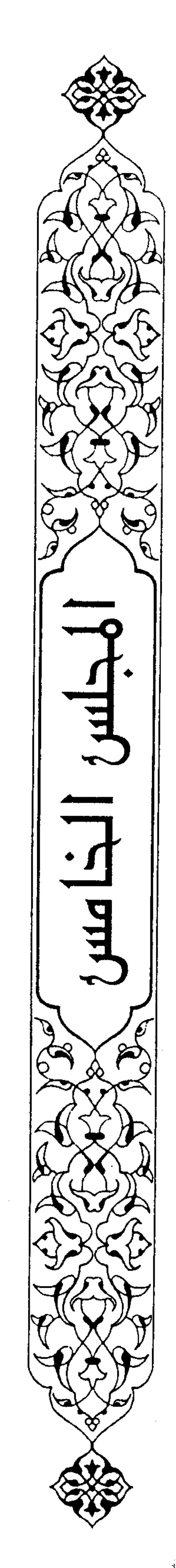
* * *

إلك ماتم بوسط الگلب ننصب وعليك الدمع يالمظلوم نسچب
بگت نارك بوسط الروح تلهب من يوم وگعت بالغـــاضريه

* * *

لولاك الفرض يحسين ماتم وحگ چبدك المنه ثلث ماتم
إلك بگلوبنه منصوب ماتم لذچرك يا ذبيح الغـاضريه

* * *



شخصية الشهيد مسلم بن عقيل عليه السلام

المجلس الخامس:

شخصية الشهيد مسلم بن عقيل عليه السلام

ألا يامسلم أمسى فؤادي عليك اليوم مكتئباً كسيراً
وحزني دائمٌ ما دمت حيّاً يؤجج في حشا صدري سعيرا
ودمعي ساكب ما جفَّ يوماً ولا طرفي بدا حيناً قريرا
ومن يكُ صابراً يوماً لرزءٍ فلست لرزئك الدامي صبورا
فتبّاً للأولى خانوك لما أتيت عن الحسين لهم سفيرا
ركنت لهم وقد أعطوك وعداً ولم يك وعدهم إلاّ غرورا
تخلّوا عنك حتى صرت فرداً وحيداً لم تجد منهم نصيرا
تقاذفك الأزقة في ظلام ولم تعرف ببلدهم مسيرا
ولولا طوعة لم تلق بيتاً تبيت بجوفه ليلاً قصيرا
أجارتك الكريمة مذ رأتك ظميئا تطلب الماء اليسيرا
ومذعرفت بأنّك هاشمي فقدتَ بكوفة الجند المجيرا

عليك تعطفت كرماً لتلقى من المختار في الحشر الأجورا*

* * *

طلعت شافته للباب لازم گالتله يغاتي انصرف سالم
عيب تشوفك ابابي الوادم واجف وآنه حرمه واجنبيه

* * *

گاللهه ومنه الگلب محتار أنه مسلم يحره ابن اخو الكرار
تبيتيني رِدتْ هاليله خطار واجرج عالنبي سيد البرية

* * *

صاحت يا هله بنسل الميامين اعذرني ما عرفتك يالشهم زين
لاضمنك بمسلم وسطة العين واخدمنك بروحي هالمسيه

* * *

جاء في كتاب الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة:

«وقد بعثت إليكم أخي، وابن عمّي، وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل».

شخصية الشهيد مسلم بن عقيل ـ سلام الله عليه ـ من الشخصيات العظيمة في الثورة الحسينية المباركة، قد تربع على عرش العظمة بنسبه الأبلج، وتغذى المكرمات من الأئمة الحجج، حاز قصب السبق في ميدان الفخار، والتحق بجهاده بركب الشهداء الأبرار. وإذا درسنا شخصية هذا الشهيد المقدام سوف تتضح لنا العظمة بأبهى صورها. وعظمة العظماء يمكن لنا أن

(*) القصيدة لصاحب الكتاب.

نلمسها من خلال طريقين، ومن خلال مقياسين تقاس بهما عظمة كل العظماء:

الأول: شهادة العظماء بحقه.

الثاني: شهادة سلوكه ومواقفه التاريخية.

وسوف نعرض شخصية مسلم بن عقيل على هذين المقياسين لنرى مدى عظمة هذه الشخصية المباركة.

أما بالنسبة إلى الأمر الأول، أعني شهادات العظماء في حق مسلم عليه السلام فهناك شهادات عظيمة أدلى بها عظماء الإنسانية في حقه وهم أهل البيت عليهم السلام. وبالطبع فإنّ شهادات أهل البيت عليهم السلام تختلف عن شهادات غيرهم من الناس؛ لأنّهم معصومون، وشهاداتهم شهادات نوعية متميزة.

دعني أعمق لك الفكرة أكثر. نحن ماذا نطلب في الشهادة حتى في القضاء؟ نطلب في الشاهد أن يكون عادلاً وعالماً، فلا تقبل شهادة الفاسق، ولا تقبل شهادة الذي يشهد على غير علم؛ لأنّ الشهادة لابد أن تكون على العلم لا على الظن في كل الجرائم، فلو سرقت سيارة زيد مثلاً، ورأيت عمراً قد ركب سيارة بلونها، أو من نفس نوعها، فلا يصح لي أن أشهد على عَمرو بأنّه سرقها. وهكذا في باب الزنا لا تجوز الشهادة إلاّ على علم، بأن يكون الميل في المكحلة كما في الروايات الشريفة، وهكذا في كل الشهادات، لا في القضاء فقط.

ترى الإنسان يطلب هذين العنصرين ــ بدرجات متفاوتة ــ حتى كأنّ المسألة مسألة عقلائية؛ إذ إنّ العقلاء لا يقبلون شهادة الشهود على الأشياء أو

على الاشخاص ما لم تكن عن علم، كما لا يقبلون شهادة من لا يثقون به. وهذان الأمران متوفران في شهادة أهل البيت في أعلى درجاتهما.

أما العلم فباعتقادنا نحن الشيعة أنّ رسول اللهﷺ وأهل بيته الكرام يعلمون باطن الإنسان فضلاً عن ظاهره بتعليم من الله تبارك وتعالى. أنا عندما أسأل عن شخص من الأشخاص أشهد له بما أعرفه من ظاهره، أراه يصلي ويصوم ويحضر المساجد فأشهد له بأنّه إنسان خير، ولا أدري أنّه منافق أو صادق، فعلمه عند ربي، أمّا أهل البيتعليهم السلام فعندما يشهدون لبعض الأشخاص شهادات تاريخية فلابد أن يشهدوا بواقع هذا الشخص، حتى لا تكون شهادتهم له سبباً لتغرير الناس وانخداعهم به، ولذلك نرى النبي وأهل بيتهعليهم السلام دقيقينَ جداً في شهاداتهم للناس.

فمثلاً عندما يشهد النبيﷺ بحق حسّان بن ثابت لا يقول مثلاً: حسان مؤيد بروح القدس ـ مطلقاً ـ حتى تكون كل أقواله ومواقفه صحيحه حتى ولو انحرف عن الحق، بل تراه يقيد فيقول: «**ما زال حسّان مؤيداً بروح القدس ما نافح عن رسول الله**»، إذا لم ينافح عن الرسول وعن أهل بيته الذين هم منه وهو منهم بحسب الكثير من الروايات فقد هذه الميزة.

وأما بالنسبة إلى العدالة فأهل البيتعليهم السلام يملكون ما هو أعظم من العدالة وهي العصمة، فذواتهم مجردة من الهوى والباطل فلا يمدحون أحداً غير مستحق للمدح، لحب له أو لمصلحة عنده، ولا يذمون آخر لحقد أو عصبية أو ما شابه ذلك.

وأمّا ما يقال: من أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشر يقول في الرضا وفي الغضب فهي مقولة خاطئة ابتدعها الظالمون؛ ليطمسوا بها فضائل أمير المؤمنين عليه السلام من جهة، وليبرروا بها مساوئ بعض الأشخاص من جهة أخرى، حتى يصوروا للناس أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما مدح علياً عليه السلام ما مدحه لاستحقاق دائماً، وإنّما لأنّه ابن عمه وزوج ابنته وغير ذلك، وعندما ذم فلاناً وفلاناً لا لاستحقاق منهم لذلك؛ بل لأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان بحالة مزاجية خاصة.

نحن نرفض هذا الكلام جملة وتفصيلاً، ونعتقد بأنّه: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾[1]، وأنّ النبي وأهل بيته الكرام لا يمدحون أحداً إلاّ باستحقاقٍ منه لذلك؛ لأنّهم معصومون لا تأسرهم العاطفة الشديدة فيتجنون على الحقيقة.

وعلى كل حال، فشهادات أهل البيت عليهم السلام شهادات متميزة، فدعنا نرى ما هي شهادات أهل البيت عليهم السلام في حق مسلم بن عقيل عليه السلام. الحقيقة أنّ هناك مجموعة شهادات في حق مسلم بن عقيل؛ منها هذه الشهادة التي ذكرها في بداية المجلس، والتي جاءت في كتاب أبي عبد الله الحسين عليه السلام لأهل الكوفة: «**وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل**»، ففي هذه الشهادة يتضح لنا مدى العظمة التي يتمتع بها مسلم بن عقيل عليه السلام.

---

١ ــ النجم: ٣ ــ ٤.

إنّ الحسين عليه السلام يعطي ثلاثة عناوين لمسلم عليه السلام: (أخي، وابن عمي، وثقتي من أهل بيتي)، فقال أولاً: أخي، ثم ابن عمّي لماذا قدم الأُخوة و لم يقل ابن عمي وأخي؟ قدم الأُخوة ليؤكد بأنّ مسلماً هو أخ قبل أن يكون ابن عم؛ لأنّه ليس كل ابن عم هو أخ.

فابن العم يعبر عنه بأنّه أخ إذا كان شديد الصلة بابن عمه، مدافعاً عنه، واقفاً إلى جانبه في السراء والضراء، محباً له وناصحاً؛ ولهذا نرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دائما ما يعبر عن علي عليه السلام بكلمة أخي دون غيره من أبناء عمه؛ وذلك لأنّه كان شديد الصلة به، متفانياً فيه، مضحياً من أجله، فالحسين عليه السلام يريد أن يقول لأهل الكوفة: إنّ هذا الذي بعثته لكم ليس مجرد ابن عم وإنّما هو أخي.

وممّا يؤكد هذه الصلة تعبيره الثاني: «**ثقتي من أهل بيتي**» فكون الرجل ابن عم الإنسان لا يصحح إطلاق لفظة أهل البيت عليه؛ ولهذا لم يدخل عبد الله ابن عباس ولا غيره من أبناء عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[١]، ودخل فيها أمير المؤمنين عليه السلام. إذن لابدّ من صلة وثيقة جداً وملازمة دائمة تجعل الإنسان من أهل بيت الإنسان الآخر.

فمن تعبير الحسين عليه السلام نعلم أنّ مسلم بن عقيل كانت تربطه علاقة وثيقة بالحسين عليه السلام حتى كان يعد من أهل بيته، وإذا أخذنا بنظر الاعتبار أن ملازمة الإنسان للمعصوم مدة طويلة بحيث صار من أهل بيته، لاشك أنه سوف يترك

---

١ ـ الأحزاب: ٣٣.

أثره البالغ عليه، وفعلاً كان ذلك عند مسلم عليه السلام حيث انطبعت شخصيته بطابع أهل بيت العصمة والطهارة الذين تخرج على أيديهم، كما سوف يتضح لنا ذلك في طيات البحث.

وتعبير الإمام الحسين عليه السلام عن مسلم بأنّه ثقته من أهل بيته فيه دلالات ودلالات حول عظمة هذا الشهيد العظيم. فيمكننا أن نفهم منها أنّه الشخصية الثانية بعد الحسين عليه السلام في الثورة خصوصاً إذا ما لاحظنا النصّ الذي ينقله الطريحي و حيث جاء فيه: «**والمفضل عندي من أهل بيتي**»، طبعا الإمام زين العابدين عليه السلام خارج عن ذلك؛ لأنّه إمام معصوم.

فمسلم هو المفضل عنده من أهل بيته وهو ثقته منهم، ففي أي شيء هو ثقته؟ هل في سره؟ أم في علمه؟ أم في شجاعته؟ أم في إيمانه؟ الواقع أنّ كلمة الإمام الحسين عليه السلام مطلقة من جميع هذه النواحي، فهو ثقته في كل شيء. وبناءً على ذلك نحن نرفض ما ورد في بعض الأخبار من أنّ مسلماً عليه السلام لما هلك دليلاه الذان استأجرهما ليدلاه على الطريق إلى الكوفة فضلا الطريق وماتا عطشاً، بعث رسالة إلى الحسين عليه السلام يستعفيه فيها من مهمته التي وجهه إليها، فكتب له الحسين كتاباً يقول فيه: «**أما بعد: فقد خشيت أن لا يكون حملك على الكتاب إليّ في الاستعفاء إلاّ الجبن، فامض لوجهك الذي وجهتك فيه، والسلام**»[1].

---

١ ــ بعض الباحثين لايتفاعل مع رواية الدليلين من أساسها، ويورد عليها بعض الإشكالات، منها: أنّ مع مسلم بن عقيل قيس بن مسهر الصيداوي، وعمارة بن عبد الله وعبد الرحمن الأرحبي وهم من أهل الكوفة ويعرفون الطريق جيداً.

نحن لا نقبل هذا بأية حال من الأحوال؛ لأنّه يتنافى أساساً مع كلام الحسينعليه السلام المتقدم من أنّه ثقته من أهل بيته. ولماذا يصر على أن يرسله إلى الكوفة بعد أن تبين له جبنه في الطريق وهو لم يدخل المخاض بعد؟!

وهناك شهادات أخرى في حق مسلمعليه السلام، منها ما ورد في زيارته من أوسمه عظيمة، حيث إنّه يزار بنفس الزيارة التي يزار بها أبو الفضل العباسعليه السلام، فقد جاء فيها: «**السلام عليك أيها العبد الصالح المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين وللحسن والحسين**عليهما السلام**... أشهد أنّك مضيت على ما مضى به البدريون المجاهدون في سبيل الله... أشهد أنّك لم تهن ولم تنكل وأنك مضيت على بصيرة من أمرك مقتدياً بالصالحين ومتبعاً للنبيين...**»، وكما ترى أنّ هذه الفقرات تعدّ منازل عالية وصفات سامية للشهيد مسلم بن عقيل يطول المقام بشرحها.

والحقيقة أنّ نفس اختيار مسلم بن عقيل لهذه المهمة الصعبة هو وسام جدارة له؛ إذ إنّ المجتمع الكوفي آنذاك كان مجتمعاً معقداً للغاية، فليس هو مجتمعاً موحّداً في أفكاره ومواقفه وتوجهاته، وإنّما كان مجتمعاً مشتتاً

ثم إنّ المفروض إنّ الدليلين يعرفان الطريق جيداً فلابدّ من أن يأخذا له عدته، والمفروض أنّ الدليلين يقاومان العطش أكثر من مسلم وأصحابه الذين لم يتعودوا على السفر كما هو حال الدليلين.

ثم لماذا لم ينقذهم مسلم وأصحابه بعد أن بان لهم الطريق وهم أربعة؟! بالإضافة إلى أنّ الرواية تذكر أنّ الموضع الذي هلكا فيه هو (مضيق الخبت) وهو كما يقول الحموي: (علم لصحراء بين مكة والمدينة) فهل رجع مسلم إلى مكة؟! وسواء صحت الرواية أم لا فنحن لا نقبل ما ورد فيها من كلمات الحسينعليه السلام المتقدمة.

متناقضاً في أعراقه وأديانه وقومياته ومذاهبه، فمن الناحية القومية توجد فيه قوميات متنوعة من عرب وفرس وأكراد وروم وآشوريين وسريان وغيرهم، ومن ناحية دينية كان فيه المسلمون واليهود الذين أجلاهم عمر بن الخطاب من المدينة، وهناك النصارى بشقيهم النساطرة واليعاقبة بالإضافة إلى الصابئة والمجوس وغيرهم.

وهكذا نراه من ناحية مذهبية فهناك مذاهب وتيارات متنوعة تعيش في الكوفة فهناك الحزب الأموي، وهناك الخوارج والشيعة وغيرهم، فهو ـ كما ترى ـ خليط غير متجانس تلعب فيه العصبيات القومية والأهواء الدينية دوراً بارزاً، ومن الصعب على القائد أن يخرج بنتيجة منه إلا إذا أوتي حكمة ودراية خاصة؛ ولذا نفهم من اختيار الحسين عليه السلام لمسلم بن عقيل؛ ليمهد له الأمور ويعبّد له الطريق في الكوفة كفاءة مسلم رحمه الله.

هذا كله بالنسبة لشهادة العظماء بحقه، أمّا شهادة أفعاله ومواقفه بحقه وهو الطريق الثاني من طرق معرفة العظماء فيكفينا أن نمرَّ مروراً سريعاً على حياة مسلم لتتضح لنا عظمته.

والحقيقة، وإن كان التاريخ لا يذكر لنا الكثير عن مسلم بن عقيل عليه السلام إلاّ بعض الشذرات القليلة، ولكنّنا إذا درسنا هذه الشذرات القليلة التي ذكرها لنا التاريخ عنه ودرسناها دراسة وافية ستتضح لنا أبعاد شخصيته المباركة، وأنا سوف ألخص صفاته الكريمة على شكل نقاط:

أولاً: حنكته وحكمته، فقد كان على مقدار كبير من الحنكة السياسية والثورية، ويدل على ذلك أنّه استطاع بمدة قصيرة وبصورة سرية تماماً أن يعبأ

الناس لبيعة الإمام الحسين عليه السلام حتى بايعه على أقل التقادير ثمانية عشر ألف شخص، وفي بعض التقادير ثلاثون ألفاً، وفي بعض الأخبار أكثر من ذلك. طبعاً ساعده على ذلك الموقف المسالم نوعاً ما الذي واجهه به النعمان بن بشير الذي وصف في بعض الأخبار بأنّه ضعيف أو يتضاعف، طبعاً إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أيضاً أنّ مسلماً عليه السلام نزل في البداية عند المختار بن أبي عبيد الثقفي، وبنت النعمان بن بشير حاكم الكوفة كانت زوجة المختار، فقد يكون لذلك أيضاً تأثير في موقف النعمان الضعيف نوعاً ما.

ثانياً: إيمانه، فقد كان عميق الإيمان ملتزماً بأحكام الدين أشد الإلتزام؛ ولذلك عندما أُتي به إلى قصر الإمارة وعرف بأنّه مقتول طلب من عمر بن سعد أن يقضي له حاجة، فامتنع عمر من سماعة، ولكن ابن زياد طلب منه أن يجيبه فقام إليه وسأله حاجته، فطلب منه ثلاث حاجات: أن يبعث إلى الحسين من يخبره بالأمر ويرده عن مسيره، وأن يستوهب جثته من ابن زياد فيدفنها، وأن يقضي عنه بعض الديون التي عليه لأهل الكوفة، ولا يملك الفرصة لردها. وهذا يدل على عمق التزامه الدين، واهتمامه بأحكام الإسلام وهو ما ينبغي للثائرين الحسينين أن يلتزموا به؛ لأنّ ثورة الحسين عليه السلام بكل مفاصلها هي ثورة قيم ومبادئ والتزام بأحكام الإسلام.

وهكذا نلمح التزامه الديني بشريعة سيد المرسلين لما دخل عبيد الله بن زياد دار هاني بن عروة عائداً شريك الحارثي الذي كان مريضاً، وطلب شريك من مسلم أن ينقضّ عليه ويقتله، وفعلاً دخل عبيد الله على شريك وراح يسأله

عن حاله وهو يحمد الله عز وجل ولم يدخل عليهم مسلم، فراح ينشد هذه الأبيات:

ما الانتظارُ بسلمى لا تحيوها حيّوا سليمى وحيّوا من يحييها
هل شربة عذبة أسقى على ضمأ ولو هلكتُ وكانت ميتتي فيها
وإن تخشيت من سلمى معاقبة فلست تأمن يوماً من دواهيها

فلم يخرج مسلم، فراح يصيح بأعلى صوته: (كأس المنية بالتعجيل فاسقوها).

فالتفت عبيد الله لهاني قائلاً: ما باله؟ قال: إنّه يخلط في علته، فقام وخرج عنه، فلمّا خرج دخل عليهم مسلم فسأله لِمَ لم تفتك به؟! قال لخصلتين: الأولى: أنّ زوجة هاني تمسكت بي وقالت: لا تقتله في بيتي، والثانية لحديث سمعته من أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الإيمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن**».

فهنا نرى مدى التزام مسلم ـ سلام الله عليه ـ بأحكام الإسلام والأحاديث الشريفة، وهذا يدل على عمق إيمانه.

نعم، ربما يقال إنّ القضية الآن تدخل في باب الأهم والمهم، وإنّ قتل هذا اللعين كان أهم من هذا الحكم الإسلامي إلاّ أنّه ـ والله العالم ـ إنّ مسلماً وحركته كانت مفردة من مفردات الثورة الحسينية المباركة وهي ثورة اُريد لها أن تكون ثورة نموذجية في كل تفاصيلها وأساليبها وسياساتها، وأن تكون ثورة مبدأية أخلاقية، فلم يرض مسلم أن تكون هناك حلقة من حلقات هذه الثورة متخلفة عن مبادئها وعن أهدافها النبيلة فتكون سبباً لتشويهها في أعين الناس

الذين يرون في ذلك غدراً كان على مسلم أن يتتره عنه، وهذا برأيي يدل على وعي مسلمعليه السلام الكامل لطبيعة الثورة الحسينية، وطبيعة مبادئها وأهدافها.

ثالثاً: تسليمه لأمر ربه ورضاه بقضاه، ولاشك أنّ هذه المترلة الشريفة ـ أعني مترلة التسليم والرضا ـ من المنازل الإيمانية العالية للعارفين والسالكين، وقد كان مسلم مسلّماً تسليماً تاماً لأمر ربّه، فهو مسلم اسماً ومعنىً، ومما يدل على تسليمه الكبير أبياته التي أنشدها عندما حاصره القوم في بيت طوعة حيث ارتجز قائلاً:

هو الموت فاصنع ويك ما أنت صانع   فأنت لكأس الموت لاشكّ جارع
فصبراً لأمر الله جل جلاله   فحكم قضاء الله في الخلــق ذائع

فترى أنّه يفوح من هذه الأبيات الكريمة ـ التي تحكي الحالة النفسية التي كان يعيشها مسلم بن عقيلعليه السلام ـ عطر الإيمان، والرضا بقضاء الله، والتسليم لأمره في جميع الأحوال.

رابعاً: عبادته وابتهاله، حيث كان محباً للصلاة لا يمل منها، حتى إنّه في الليلة التي قضاها في بيت طوعه(رحمها الله) لم ينم فيها إلاّ قليلاً، وإنّما كان مشتغلاً بالعبادة، أنهى الليل قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً، وعندما صعد به إلى أعلى القصر، وأراد اللعين أن يضرب عنقه قال له: أمهلني أصلّي لربي ركعتين، فأمهله فصلى ـ سلام الله عليه ـ ممّا يدل على حبه وشغفه بالصلاة.

خامساً: فصاحته وبلاغته وجرأته في الكلام، كما تجلت في كلامه مع عبيد الله بن زياد عندما أتوا به أسيراً إليه، حيث لم يسلم عليه فقال له أحد

الشَّرَطة: لِمَ لم تسلم على الأمير؟ قال: ليس هو لي بأمير، فقال عبيد الله: لاعليك أسلمت أم لم تسلم فأنت مقتو ل!

قال: لئن قتلتني فلقد قتل من هو شر منك من هو خير مني. فقال وقد استشاط غضباً: لأقتلنك قتلة لم يقتل مثلها أحد في الإسلام! فقال برباطة جأش: أما إنّك أحق أن تحدث في الإسلام ما ليس فيه، وإنّك لا تدع سوء القتله، وقبح المثلة، وخبث السريرة، ولؤم الغلبة.

حيث نلاحظ هنا في هذا المقطع القصير من كلماته عليه السلام الفصاحة والبلاغة الطافحة، كما نرى الجراة وشدة الشكيمة حيث لم يهب من ابن زياد وهو أسير، فلم يتعطف ابن زياد ليبقيه حياً كما يفعل الكثير من الأسارى، وإنّما كان يرد عليه بقذائف من كلامة حطمت غرور وكبرياء عبيد الله بن زياد.

سادساً: شجاعته وإقدامه وبسالته في الحرب، حيث كان مضرب المثل في ذلك، وهو من المجاهدين القدماء الذين شبّوا على الحرب، وضرب السيوف، وقراع الأسنة، فهو في مقتبل عمره شارك في الفتوحات الإسلامية كفتح مدينة (البهنسا) في مصر أيام عمر بن الخطاب، وقد أبدى فيها بسالة فائقة هو وإخوته جعفر وعلي أبناء عقيل.

وهكذا شارك في حروب عمه أمير المؤمنين عليه السلام في الجمل وصفين والنهروان، وكان في صفين على ميمنة الجيش يقود أحد فيالقه. وخير شاهد على بسالته وشجاعته موقفه في الكوفة عندما اجتمع عليه أهلها برمتهم. أقول برمتهم؛ لأنّه لم يكن يقاتل الفرسان فقط وإنّما الناس كذلك، فكانت ترميه من على السطوح بالحجارة والنار، وهو يصيح فيهم مالكم ترموننا بالحجارة

والنار ونحن من عترة النبي المختار، فلم يعبأ بجموعهم، ولا راعته كثرتهم، بل راح يطردهم كما تطرد المعزى إذا شد فيها الذئب، حتى استغاث محمد بن الأشعث بعبيد الله بن زياد وطلب منه أن يمده بالخيل والرجال، فرد عليه ابن زياد قائلاً: بعثناك إلى رجل واحد فثلم في أصحابك هذه الثلمة الكبيرة؟ فقال له: أتظن أنّك بعثتني إلى بقال من بقاقلة الكوفة، أو إلى جرمقاني من جرامقة الحيرة؟! أما تعلم أنّك بعثتني إلى أسد ضرغام، وسيف حسام، في كف بطل همام، من آل خير الأنام؟[1]. فأمده عندها بالرجال، ولكنّ مسلم لم يعبأ بهم، بل راح يضرب فيهم بسيفه، وهو ينشد ويقول:

أقسمت لا أُقتل إلاّ حراً　　　وإن رأيت الموت شيئاً نكرا
كل امرء يوماً ملاق شرا　　　أخاف أن أخدع أو أغرا

فلم يستطيعوا أن ينالوا منه فأعطوه الأمان، وصاح به ابن الأشعث: لك الأمان يا مسلم لا تقتل نفسك. فقال عليه السلام: أي أمان للغدرة الفجرة، ورجع يقاتلهم ببسالة قل نظيرها حتى أثخنوه بالجراح، وأعياه نزف الدماء، فأسند ظهره إلى جدر فراحوا يضربونه بالسهام والحجارة.

قال ابن طاووس رحمه الله: وعند ذلك ضربه رجل من خلفه فخر إلى الأرض فتكاثروا عليه فأمكنهم من نفسه.

وقيل: حفروا له حفيرة وقع فيها فأسروه، ولله در الشاعر إذ يقول مخاطباً إيّاه:

---

١ ـ الفتوح (ابن أعثم) ٤: ٩٣.

لم تثن عزمك كوفة الجند التي احتشدت عليك و لم يُعنك نصير
فوضعت سيفك فيهم فتشاردوا مثل الشياه أخافهنَّ هصور
ولّوا ومن خوف النزال وجوهم صفرٌ وأظلاعُ الصدور تَمور
لو أنّهم لم يغدروا بك لم تكن طوعاً إلى نسل الدعيِّ تسير

نعم، أمسكوه أسيراً، ولما شدوا وثاقه دمعت عينه، فقال له بعض من حضر: يا مسلم إنّ الذي يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به ما نزل بك لم يبكِ؟!

قال: والله ما لنفسي بكيت، ولكن أبكي لأهلي المقبلين.

* * *

وينه الذي يوصل بهالحين لارض المدينه ويخبر حسين
مسلم وحيد ومـــاله معين ودارت عليه الگوم صوبين
جتفوه وهو يدير بالعين

* * *

أخذوه إلى قصر الإمارة أسيراً؛ ولمّا وصل إلى باب القصر وكان في غاية الظمأ رأى قُلّة فيها ماء موضوعة على باب القصر، فطلب منهم أن يسقوه قليلاً من الماء، فقال له مسلم الباهلي: أتراها ما أبردها، لاوالله لا تذوق منها قطرة أبداً حتى تذوق الحميم في نار جهنم، فقال له: لأمّك الثكل، ما أجفاك وأفضك، وأقسى قلبك، أنت يابن الباهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني.

ثم جلس متسانداً إلى الحائط، فبعث عمرو بن حريث غلاماً له فجاءه بقُلّة عليها منديل وقدح فصب فيه ماءً بارداً ليشرب مسلم، فأدناه إلى فمه فامتلأ القدح دماً، وهكذا كان في الثانية، وفي المرة الثالثة سقطت ثناياه في القدح؛ لأنّ بكر بن حمران ضربه على شفته بالسيف، فقال: الحمد لله لو كان من الرزق المقسوم لشربته، وكان أبطال الثورة الحسينية تواصوا أن يموتوا عطشاً:

كأنما نفسك اختارت لها عطشاً ... لما درت أن سيقضي السبط عطشانا

فلم تطق أن تسيغ الماء عن ظمأ ... من ضربة ساقهـا بكر بن حمـرانا

بعد ذلك أدخلوه على ابن زياد، ودار بينهم ذلك الحديث الذي ذكرناه فغضب ابن زياد (لعنه الله) فأمر بقتله، فصعد به ابن حمران لأعلى القصر وهو مثخن بالجراح، قد أمضّ به العطش، فشهر اللعين سيفه ليضربه فطلب منه مسلمعليه السلام أن يمهله كي يصلي ركعتين، فصلى ركعتين، ثم اتجه نحو الطريق مسلّما على الحسينعليه السلام، فما إن أتم سلامه على ابن عمه إلاّ واللعين يهوي على راسه بالسيف، فاحتز رأسه الشريف، ثم أتبعه بجثته إلى الأرض: أي وامسلماه، واشهيداه، واغريباه.

رموا من الگصر نسل النشامه ... من تم علـه ابن عمه سلامـه

واولاده بگوا عگبـه يتامـه ... وحميده تصيح أبوي النفل چاوين

* * *

أخذ مني الگلب من راح وياه ... وترك دمعي يصب دم عله فرگاه

يمته يعود إليّ وافرح بملگاه ... وتگر بشوفته من عندي العين

تگله: بويه غيبتك صارت طويله ... وعيني ما تنام عليك ليله

أون عليك والونة ثجيله وادري ما يردّك بويه الونين

* * *

رحت والدمع يجري عليك من دم وعله گلبي يبويه تراكم الهـــم
آنه بخيــر كـــون حسين يسلـــم بس لا ياخذه من عندي البين

* * *

أبتـــــا ضمني من البعد شـــوق لسنا وجهك البشوش الجميل
غبت عن ناظري فخلّفت روحي مثل غضِّ الغصون بعد الذبول

* * *



الحب المقدس

المجلس السادس:

الحب المقدس

من حسين وصحبه الشهداء يأخذ الثائرون درس الوفاء
علّموا الناس في الطفوف دروساً من جهادٍ وعزةٍ وإباء
حفظوا دين أحمدٍ بنفوسٍ أرخصوها وقد علت في غلاء
وبنوا في الطفوف سُوراً منيعاً دون مأوى كرائم الزهراء
يوم أصغوا لزينب وهي تدعو خِيرة الصَّحب من وراءِ الخباء
أين أهل الحفاظ عنّا فإنّا خائفاتٌ وقلبنا في عناء
أفهل تقبلون نسبى ونبقى بين أيدي اللئام مثل الإماء
يا ليوث العرين هبّوا وحاموا دون أبيات وارثِ الأنبياء
وسيجزيكمُ عليٌّ أبونا إذ يحين النشور خير الجزاء
فأجابوا نداءها مذ أتمت بنحيبٍ وزفرةٍ وبكاء
هدّأي الروع يابنة الطّهر إنّا سوف نفدي لكنَّ طهر الدماء
لكِ عهدٌ بأنّنا سوف نبقى نحفظُ العهد يا بنة النُّجباء

ونبيع النفوس دون حسينٍ ونذيقُ اللئامَ مرَّ البلاء*

* * *

طلعت حشّمتهم والدمع فـــار كفو ونعمين من عدكم ياالانصار
جزاكم يم ابونه الوصي الكرار ويـــم جدنه النبي طـــه المرســـل

* * *

كفو ونعمين منكم يا ذخرنه يصحـــاب الوفه ويهـــل المَحنّه
ابختـــكم يهل المروه خدرنه وما ظنتي عليكم خدري يسهل

* * *

كلهم جاوبوهه بصوت واحد يبت حيدر علينه الباري شاهد
عن خدرج يبت حيدر نجاهد وتظـــل بيامنه النـــاس اتمثـــل

* * *

جاء في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني؛ وذلك أنّه قضي فانقضى على لسان النبي الأمي صلى الله عليه وآله أنّه قال: يا علي لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق»[1].

(*) القصيدة لصاحب الكتاب.

١ ــ نهج البلاغة، قصار الكلمات: كلمة رقم ٥.

يوجد تأمل لطيف في هذا الحديث للشيخ الشهيد مرتضى مطهري ــ أعلى الله مقامه ــ يقول فيه: إنّ في الكون قوتين تحفظان توازنه ونظامه وهما قوتا الجذب والطرد، وهذا في الحقيقة هو من القوانين الفيزياوية. وهاتان القوتان قوتان ماديتان، ولكن هناك قوة جذب وطرد معنوي في المجتمع الإنساني أي استقطاب للقلوب والمشاعر، وطرد وإبعاد للقلوب والمشاعر، والناس يختلفون في ذلك.

فبعض الناس لايملكون طرداً ولا جذباً. وهؤلاء هم هَمْل الناس الذين ليس لديهم من صفات الكمال ما يشد الناس لهم، وليس لديهم من دواعي البطش والقهر ما يبعد النفوس عنهم كالكبش لايحبه أحد ولا يبغضه أحد، وحتى لو اهتموا به وسمنوه فلأجل أن ينتفعوا بلحمه عندما يذبحونه، ونحن نرى الكثير من الناس في حياتنا عندما يموتون لاأحد يفرح بموهم ولا أحد يبكي عليهم.

وهناك من يملك قوة جذب فقط فترى الناس كلهم على اختلاف طبقاهم يميلون إليه ويتفقون معه؛ لأنّه مع الجميع وليس له موقف في حياته كالسعفة تميل مع الريح أينما مالت، وهذه الشخصيات أكثر ما تكون مداهنة مصانعة أو بالأحرى منافقة؛ لأنّ الناس ليسوا سواسية فيهم المحق وفيهم المبطل، فيهم الخير وفيهم الشرير.

وهذه أمور متضادة ومتناقضة، وعلى الإنسان أن يحدد موقفه من الجميع فإمّا أن يكون مع أهل الخير أو مع أهل الشر، أمّا أنّه يدعي أنّه من المؤمنين، ويذهب ويصانع ويعاشر الفاسقين فهذا ليس مؤمناً، فالبعض يقول: أنا أريد أن يحبني الناس؛ جيد هذا أمر لابأس به ويريده الإسلام، لكن ليس معناه أن

يكون الإنسان ازدواجياً مع الحق والباطل معاً، بل عليه أن يحدد موقفه من المبطلين بكل وضوح.

وهناك قسم من الشخصيات تملك القوتين معاً، أعني قوة الجذب والطرد، فهناك من القلوب من تميل إليها، وهناك من يبغضها. فالقلوب التي تتناغم وتنسجم معه تحبه، والتي لا تنسجم معه تبغضه وتخالفه تماماً كالمغناطيس العادي فإنّه يجذب ما يسانخه ويطرد ما ينافره، فإذا قربت إليه قطعة حديد فسوف يجذبها، وإذا قدمت إليه قطعة خشب أو بلاستك فإنّه سوف يطردها، وهكذا النفوس فالخيّرة منها تجذب الخيّرة وتطرد الشريرة، والعكس بالعكس.

وعندما نرجع إلى شخصية أمير المؤمنين عليه السلام نرى أنّها كانت تملك هاتين القوتين بأعلى درجاتهما، فأحبته بعض النفوس حتى عبدته، وأبغضته بعض النفوس حتى كفرت به وقتلته، ولهذا قال عليه السلام في كلامه المتقدم: «**لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني...**».

فكل مؤمن يحب علياً، وكل منافق يبغضه؛ لأنّ الأشياء تجذب سنخها كما ذكرنا آنفاً. ومن هنا أصبح عليه السلام المحك الذي يتبين به المؤمن من المنافق، ولذلك نقل أحمد والترمذي عن جابر بن عبدالله رحمه الله أنّه قال: (ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغضهم علياً عليه السلام).

وبهذا نفهم أيضاً معنى الحديث النبوي الشريف: «**عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب**»؛ لأنّ حبه هو علامة الإيمان كما أنّ بغضه علامة النفاق.

وأيضاً نفهم الحديث النبوي الذي يقول: «**علي قسيم الجنة والنار**»؛ لأنّ من أحبه مؤمن وعاقبته الجنة، ومن أبغضه منافق وعاقبته النار، كما أجاب بذلك الإمام الرضا عليه السلام المأمون العباسي عندما سأله: بأي وجه قلتم: إنّ جدك علي بن أبي طالب قسيم الجنة والنار؟ قال: «**ألم ترو عن آبائك عن جدك عبد الله بن عباس أنّه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: حب علي إيمان وبغضه كفر**»؟ **قال: بلى! قال**: «**فبهذا ظهر أنّه قسيم الجنة والنار**»[1].

بل ورد في الروايات الشريفة أن حبه عليه السلام علامة طيب الولادة، وبغضه علامة خبثها، كما ورد ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً، حيث قال: «**لايبغضك إلاّ ابن زنى أو ابن حيض**».

وكما نظم ذلك الشاعر قائلاً:

أمير المؤمنين أراك لما ... ذكرتك عند ذي نسب صغا لي
وإن كررت ذكرك عند نغل ... تكدر عيشه وبغى قتالي
فكنت إذا شككت بأصل مرء ... ذكرتك بالجميل من الخصالِ
بحبك صرتُ اختبر البرايا ... فأنت محك أولاد الحلالِ

فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام يمثل في ذاته منبع الطهر والقدس والفضيلة، ولذلك تنجذب إليه النفوس الخيرة وتعشقه عشقاً لا مثيل له.

ينقلون أنّه وفد ضرار بن ضمرة الليثي رحمه الله على معاوية، فطلب منه أن يصف له علياً عليه السلام فاستعفاه، ولكنّه ألحّ عليه، فراح يصف له أمير

---

١ ـ إحقاق الحق ٤: ٢٦٤.

المؤمنين عليه السلام بأوصاف رائعة جداً: (كان والله بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، وكان والله غزير العبرة، طويل الفكرة...) إلى آخره، فقال له معاوية: فكيف كان حبك إياه؟ قال كحب أم موسى لموسى واعتذر إلى الله من التقصير. قال: وكيف صبرك عنه يا ضرار؟ قال: صبر من ذبح ولدها على صدرها فهي لا ترقى عبرتها، ولا تكن حرتها.

فأحبه الصالحون حبا لا نظير له قط بحيث كانوا لا يتنازلون عنه مهما كلف الثمن حتى ولو قطعوا إربا إربا. فكم نقل لنا التاريخ عن محب له عرض عليه السيف أو التراجع عن حبه وولائه له فاختار القتل طائعاً، كعمرو بن الحمق الخزاعي، وحجر بن عدي الكندي الذي عرضت عليه البراءة من علي عليه السلام أو القتل فاختار القتل، وهكذا رشيد الهجري الذي يُروى أنّه كان مع الأمير عليه السلام في بستان فأمر بشجرة فلقطت ثمرتها، ولما وضعت أمامهم، قال رشيد: يا أمير المؤمنين ما أطيب ثمرها؟ قال: «أما إنّك ستصلب على جذعها!»، يقول رشيد: فكنت أختلف إليها طرفي النهار أسقيها، فلما مضى أمير المؤمنين عليه السلام أتيت إليها فرأيتها قد قطع سعفها، ثم جئتها بعد فترة رأيتها قد قطعت فقلت قد اقترب أجلي. وفعلاً بعث وراءه زياد بن أبيه ـ على الأرجح، وهناك رواية تقول أنّه عبيد الله ـ ودعاه للبراءة من أمير المؤمنين عليه السلام فرفض. فقال: بأي ميتة أخبرك صاحبك انك تموت؟ قال: أخبرني خليلي أنّك تدعوني إلى البراءة منه فلا أتبرأ، فتقدمني فتقطع لساني ويدي ورجلي. قال: والله لأكذبن فيك قول صاحبك، فأمر برجله ويده

فقطعتا وترك لسانه سالماً، فراح يحدث الناس بما لديه من علم يأثره عن الإمام علي عليه السلام، فبلغ ذلك زياداً فأمر الحجام بأن يذهب ويقطع لسانه، فقطع لسانه ومات لليلته. وهكذا ميثم التمار رحمه الله، وغيرهم ممن استشهدوا في سبيل الحق ولحب أمير المؤمنين عليه السلام: «**لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما ابغضني**»، وفعلاً فقد ضرب بسيفه بعض محبيه فما أبغضه.

ينقلون أنّ بعض أصحابه سرق فأمسكوه وجاؤوا به إليه، فقال له: «أسرقت؟» قال: نعم. وراح يقر بها ثلاثاً فعند ذلك أخذ السيف وقطع يده اليمنى فأخذها بيده اليسرى وهي تقطر دماً، ورجع إلى بيته فلقيه ابن الكواء في الطريق فقال: يا أسود من قطع يمينك؟ قال: قطعها أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، وقائد الغرّ المحجلين...، وراح يثني عليه. فقال له: ويحك يا هذا، يقطع يدك وتثني عليه كل هذا الثناء؟! قال: وكيف لا أثني عليه وقد خالط حبه لحمي ودمي؟ والله ما قطعها إلاّ بحق أوجبه الله علي.

وهكذا نرى في المقابل أنّ أعداءه أبغضوه بغضاً لا مثيل له حتى كفر به من كفر منهم، وحاربه من حاربه، وسبه من سبه، وكتم فضائله من كتم، مع أنّه كان محسناً للجميع، ولكن النفوس الشريرة مجبولة على بغض النفوس الطيبة، فأنت ترى أمير المؤمنين كان يحسن لعبد الرحمن بن ملجم، ولكنه مع ذلك كان لا يزداد له إلاّ بغضاً حتى كان يقول عليه السلام:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مرادِ

نعم، مهما أحسن إلى النفوس الشريرة فلن تلين له، كما قال في الحديث المتقدم: «**ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني...**» .

وهذا المعنى ينسحب على بقية أهل البيت عليهم السلام، فالإمام الحسين عليه السلام كذلك أبغضته النفوس الشريرة حتى قطعته إرباً إرباً، و لم تترك أمراً فضيعاً إلاّ ومارسته معه: حرموه الماء مع عياله وأطفاله، قتلوا أصحابه وأهل بيته حتى الطفل الرضيع منهم، مزقوا جسده بالسيوف، قطعوا رأسه الشريف، سحقوا جسمه بحوافر الخيول، سلبوا ثيابه، أحرقوا خيامه، إلى غير ذلك من الأمور الفضيعة التي ارتكبوها بحقه.

وترى أنّ بعض النفوس أحبته حتى باعت الغالي والنفيس في سبيله، وتجرعت غصص الموت من حوله، فمثلاً قيس بن مسهر الصيداوي رحمه الله وهو رسول الحسين عليه السلام بعثه بكتاب لأعيان أهل الكوفة، فأمسكه الحصين بن نمير في الطريق ــ لأنّه كان يقوم بدوريات في الطريق بأمر من عبيد الله بن زياد ــ ولكنّه قبل أن يمسكوه مزق الكتاب تماماً فقبض عليه وجيء به إلى عبيد الله بن زياد فلما مثل بين يديه قال له: من أنت؟ قال: أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وابنه!

قال: فلم مزقت الكتاب؟ قال: لكي لا تعلم ما فيه. قال: وممن الكتاب؟ وإلى من؟ قال: من الحسين عليه السلام إلى جماعة من أهل الكوفة لا أعرف أسماءهم! فغضب ابن زياد، وقال: والله لا تفارقني حتى تخبرني بأسماء هؤلاء القوم، أو تصعد المنبر فتلعن الحسين بن علي وأباه وأخاه، وإلاّ قطعتك إرباً إرباً.

فقال: أما هؤلاء القوم فلا أخبرك بأسمائهم، وأمّا لعن الحسين وأبيه وأخيه فأفعل، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله، وأكثر من الترحم والثناء على علي والحسن والحسين عليهم السلام، ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه ولعن عتاة بني أمية عن آخرهم، ثم قال: أيها الناس، أنا رسول الحسين إليكم، وقد خلفته بموضع كذا فأجيبوه، فأمر ابن زياد به فرمي من أعلى القصر فمات، فبلغ نبأه الحسين عليه السلام فاستعبر وبكى، وقال: «**اللهم اجعل لنا ولشيعتنا منزلاً كريماً واجمع بيننا وبينهم في مستقر رحمتك إنّك على كل شيء قدير**»[1].

وهناك رواية أخرى تقول: إنّ الذي بعثه الحسين عليه السلام هو عبد الله بن يقطر أخ الحسين من الرضاعة فأمسكوه، وجاؤوا به الى عبيد الله فطلب من ان يلعن الحسين عليه السلام فصعد المنبر ولعن بني أمية وترحم على الحسين وأثنى عليه. ولا منافاة، فقد يكون رسولاً آخر للحسين عليه السلام بعثه للكوفة فأمسكوه وانتهى أمره إلى ما انتهى إليه أمر قيس بن مسهر الصيداوي، وإن كان مقتل عبد الله بن يقطر قبل مقتل قيس رحمه الله كما تذكر الروايات التاريخية، فيكون قد أرسله قبل قيس.

نعم هناك رأي آخر يذكره بعض المحققين تبعاً لبعض الروايات أنّ عبد الله بن يقطر أرسله مسلم بن عقيل للحسين عليه السلام من الكوفة فقبضوا عليه وأخذوا الكتاب منه ثم فعلوا به مثل ذلك[2].

---

١ ـ اللهوف: ٣٢ ـ ٣٣.

٢ ـ لاحظ مثلاً: (مع الركب الحسيني) ٣: ١٩٤ ـ ١٩٨.

وهكذا عندما ترجع لليوم العاشر من المحرم سوف ترى صوراً رائعة من حب الأصحاب للحسين عليه السلام، صور لا مثيل لها، صور تهز الوجدان وتطرب الضمير، ترى الأصحاب قد هاموا بحبه، بل جنوا بحبه كما ينقل عن عابس رحمه الله عندما برز إلى القوم شاكياً في السلاح وهو بطل ضرغام ذائع الصيت، فأحجمت عن قتاله الأقران، ونكصت من رهبته الفرسان عندها ألقى لامة حربه وبرز إلى الأعداء حاسراً، فصاح به صائح من القوم: ويلك يا عابس أجننت تخرج إلى الهيجاء حاسراً؟ فقال ــ على ما ينقلون ــ: نعم، حب الحسين أجنني، فهو عندما برز إلى القتال قال للحسين عليه السلام: (ما أمسى على ظهر الأرض قريب ولا بعيد أعز عليَّ منك ــ لاحظ قوله: قريب وبعيد يعني حتى الأهل والأطفال ــ ولو قدرت ان أدفع الضيم عنك بشيء أعز عليَّ من نفسي لفعلت، يعني لا أملك شيء أعزّ من نفسي، ولو أملك ما هو أعز منها لبذلته في سبيلك حباً لك.

نعم، كل همهم هو الحسين عليه السلام، الحسين أعز عليهم من كل شيء من أرواحم من أزواجهم من أولادهم، ترى الأم يوم الطفوف تدفع ولدها دفعاً للموت مع أنّ الابن أعز على الأم من روحها، وقد تسستطيع أن تضحي بروحها ولكنّها لا تستطيع أن تضحي بولدها.

أمّا يوم العاشر فكانت الأمهات يتبارين في التضحية بأولادهن؛ فمثلاً أم عمرو بن جناده الأنصاري قتل زوجها في الحملة الأولى، فلم تقنع بذلك، بل جاءت وجهزت ولدها الصبي الذي لم يكمل الحادية عشرة من عمره وطلبت منه أن يذهب ويقاتل بين يدي أبي عبد الله عليه السلام، فجاء إلى الحسين عليه السلام

يستأذنه في القتال، فرّق له الحسين ولم يسمح له بالخروج وقال: «**هذا غلام قد قتل أبوه في الحملة الأولى، ولعلّ أمه تكره ذلك**»؛ لأنّه من الصعب أن تفجع المرأة بزوجها وولدها في ساعة واحدة، خصوصاً وهي تريد من ابنها أن يكون تذكاراً من أبيه المقتول، فلم يسمح له الحسين لعل أمه تكره ذلك ولكنه فوجئ بالغلام يقول له: سيدي إنّ أمي هي التي أمرتني بذلك، عند ذلك خرج للقتال وأمه تراقبه من خلفة وهي فرحه بجهاد ولدها بين يدي الحسين عليه السلام، فما هي إلاّ لحظات وإذا بها ترى رأس ولدها يتدحرج أمامها محزوزاً مضمخاً بالدماء، فاحتسبته عند الله تبارك وتعالى، ولم تكتفِ بزوجها وولدها، بل تقدمت بنفسها لتدافع عن الحسين عليه السلام فأخذت عموداً وهجمت على القوم، وهي تقول:

إنّي عجوز في النسا ضعيفه   خاوية بالية نحيفه

أضربكم بضربة عنيفه   دون بني فاطمة الشريفة

فردها الحسين للخيمة وجزاها خير الجزاء.

وهكذا نرى موقف مسلم بن عوسجة عندما وقع على الأرض صريعاً وجاءه الحسين عليه السلام مع حبيب بن مظاهر وبه رمق من الحياة، فقال له حبيب: أبشر بالجنة يا مسلم. فقال بصوت خافت: بشرّك الله بخير. قال له حبيب: لولا أعلم أنّي على الأثر لأحببت أن توصيني بما أهمك. قال وهو بين الموت والحياة: أوصيك بهذا الغريب خيراً لا تقصر في نصرته:

گربت يبن ظاهر منيتي   ما وصيك بعيالي وبيتي

بالحسين وعياله وصيتي

فقال حبيب: لأنعمنك عيناً يامسلم.

حين السمع صاحب الغيره يگله وعليه شوفه يديره
هذا الحسين اشعدنه غيره سبط النبي المامش نظيره
لفديه بعمري هالظهيره

وهكذا راح يفقد الحسين الحبيب تلو الحبيب ملبين دعوة الله حتى ظل وحيداً فريداً، ولسان حاله يقول:

اجفوف الدهر يصحابي لونكم تونون وروحي تون لونكم
تگعدون وتشوفـــوني لـــونكم وحيد وحاطت العدوان بيه

* * *

لما رأى السبط أصحاب الوفا قتلوا نادى أبا الفضل أين الفارس البطل
وأين من دوني الأرواح قد بذلـــوا بالأمس كانوا معي واليوم قد رحلوا
وخلّفوا في سويدا القلب نيرانا.

* * *



نور البصيرة

المجلس السابع:

نور البصيرة

دنيا البطولة خلّدتك مثالا   يا من علا فوق السماك جلالا
عباس يا خير الأنام سجيةً   وبطولة وسماحة وجمالا
يا خائضا بحر المنون مجرداً   سيفاً أذاق بني اللئام وبالا
يسطو على بُهم الكتائب مفرداً   فكأنّه ليث أغار وَصَالا
يفني الجموع بعزمة علوية   فتراهم يتشاردون عُجَالى
ما راعه حشد الألوف ولم يكن   يخشى سيوفاً أبرقت ونِصالا
حاشا ابن حيدرة يهاب جموعهم   أو يختشي عند النزال نزالا
ما شدَّ يوم الطف نحو كتيبة   إلاّ تبدد جمعها أوصالا
حتى إذا ورد الفرات وقلبه   لو مسَّ غلتَه الأصمُ لزالا
فأراد أن يروي غليل فؤاده   لكنْ تذكر صبيةً وعيالا
وسرى بمسمعه عتاب سكينةٍ   وصراخ طفل بالخيام تعالى
فرمى المعين وللفؤاد تضرمٌ   والدمع من فوق الخدود توالى

ويقول أهنأ بالمعين واغتدي ريان من دون الحسين محالا*

* * *

غرف غرفه ابيمينه وراد يشرب وگلبه من العطش نيران تلهب
ذكر چبدة عضيده والدمع صب ذبّه اوعَلي گــال الماي يحرم

* * *

اشلون اشرب وارد ريان عنك وخوي احسين ورده انمنع منك
ينهــر العلگمي عگبه عسنك مايــك لا هنه ويصير عــلگم

* * *

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١].

للمفسرين رأيان في بيان المخاطب بهذه الآية الكريمة: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾** .

الرأي الأول: هو أنّ المخاطب بها هم أهل الكتاب باعتبار أنّها نزلت في سياق الآيات التي تحدثت عن أهل الكتاب فكأنّها مكملة لها، وكأنّ المقصود: يا أهل الكتاب الذين آمنتم بالرسل السابقين اتقوا الله وآمنوا

(*) القصيدة لصاحب الكتاب.

١ ـ الحديد: ٢٨.

برسوله الخاتم محمد ﷺ، فإنّكم إن فعلتم ذلك سوف يؤتيكم كفلين من رحمتة.

و(الكفل) في اللغة على وزن (طفل) بمعنى الحصة والنصيب، فيصير المعنى يعطيكم حصتين من رحمته حصة لإيمانكم السابق بأنبيائكم، وحصة لأجل إيمانكم بالرسول الخاتم ﷺ.

وهناك رأي آخر يرى أنّ الخطاب في الآية ليس مختصاً بأهل الكتاب وإنّما هو مطلق لكل الذين أمنوا، فهو خطاب أيضا للمؤمنين في عصر النبي ﷺ وما بعده من العصور.

ويؤيد هذا الاتجاه ما روي في سبب نزول الآية الكريمة كما في (المجمع) عن سعيد بن جبير أنّ جماعة من أهل الحبشة ممّن آمنوا بالإسلام جاؤوا مع جعفر لرؤية رسول الله ﷺ، فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة طلبوا من رسول الله أن يأذن لهم لكي يجلبوا أموالهم من الحبشة فيواسوا بها المسلمين، فأذن لهم النبي ﷺ في ذلك فذهبوا وجلبوا أموالهم من الحبشة وفرقوها بين فقراء المسلمين، فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾[1]، فلمّا سمع ذلك بعض أهل الكتاب ممن لم يؤمنوا برسالة الإسلام فخروا على المسلمين، وقالوا: من آمن منّا بكتابنا وكتابكم فله أجران كما يقول قرآنكم، ومن لم يؤمن منا بكتابكم فله أجر واحد فأي فضل لكم علينا،

١ ـ القصص: ٥٤.

فأنزل الله حينذلك هذه الآية الكريمة وأعطى فيها للمسلمين أجرين وكفلين من الرحمة، وزادهم على ذلك النور والمغفرة.

لكن هذا الرأي يثير سؤالاً وهو: أنّ معنى الآية سوف يختل؛ إذ ما معنى أن يخاطب الله عز وجل بالإيمان من آمنوا فعلاً؟ فالآية في البداية قالت: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾، وهذا يشمل الإيمان بالله والإيمان برسوله، فلأي معنى تأمرهم ثانية بالإيمان برسوله؟ وذلك كمن يقول للطالب: أيها الطالب كن طالباً.

والجواب عن ذلك: أنّ الآية تطالب بالإيمان التام فلا يكون فيها أي تكرار. فالإيمان ليس مرتبة واحدة لا تزيد وتنقص، كما يذهب إلى ذلك مجموعة من العلماء كأبي حنيفة، وإمام الحرمين وغيرهم[١] حيث ذهبوا إلى أنّ الإيمان هو الاعتقاد الجازم وهو لا يقبل الزيادة والنقصان، فإما أن تكون مؤمناً أو لا. واضطروا أن يؤلوا الآيات التي تدل على زيادة الإيمان من قبيل قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾[٢]، وغيرها من الآيات الأخرى.

ولكن الحق هو ما وردت به روايات أهل البيت عليهم السلام، ويؤيده ظاهر القرآن الكريم، وعليه أكثر السنة[٣] والشيعة من أنّ الإيمان يزيد وينقص، فإن

---

١ ـ الميزان (الطباطبائي): ١٨: ٢٦٤.

٢ ـ الأنفال: ٢.

٣ ـ فتح الباري (ابن حجر) ١: ٤٤.

الإيمان ليس هو مجرد العلم؛ لأنّه يجتمع مع الكفر كما يقول تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾[1]، وقوله: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾[2]، وليس هو مجرد العمل لأنّه يجتمع مع النفاق، بل الإيمان هو (العلم بالشيء مع الإلتزام به بحيث يترتب عليه آثاره العملية)، ولما كان (كل من العلم والإلتزام ممّا يزيد وينقص، ويضعف ويشتد، كان الإيمان المؤلف منهما قابلاً للزيادة والنقيصة والشدة والضعف، فاختلاف المراتب وتفاوت الدرجات من الضروريات التي لا شك فيها قط)[3].

المهم أنّ الإيمان له مراتب تتفاوت عند الناس شدة وضعفاً، وبالتالي فالآية الكريمة تخاطب أولئك الذين آمنوا بالله ورسوله إيماناً ظاهراً سطحياً ليس واعياً ولا متمكناً من النفوس أن يؤمنوا برسول الله إيماناً تاماً وكاملاً ويطيعوه ويسلموا له، كما نقول للمؤدب الذي لا يقوم بواجبه تماما: أيها المؤدب كن مؤدباً، أي كن مؤدباً تاماً وكاملاً، أو كما ندعو في شهر رمضان المبارك: «**اللهم اجعل صيامي صيام الصائمين، وقيامي قيام القائمين**»، فما معنى أن يجعل صيامي صياماً؟ المقصود أن يجعل صيامي صياماً حقيقياً، لا صياماً شكلياً؛ لأنّه كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش؛ لأنّ الصيام الحقيقي هو صيام الجوارح والجوانح.

١ ــ النمل: ١٤.

٢ ــ الجاثية: ٢٣.

٣ ــ الميزان (الطباطبائي) ١٨: ٢٦٤.

كذلك الآية تطلب من الذين اقتنعوا بالإسلام وبرسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون إيمانهم برسول الله إيماناً تاماً بحيث يذعنوا لكل ما يقول كما تقول الآية الكريمة: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً**﴾[1]، فكثير ممّن يسمون ظاهراً بالمؤمنين كانوا يعترضون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يذعنون لما يريد ويطلب منهم، والأمثلة التاريخية كثيرة على ذلك.

طيب، ماذا يحصل الإنسان من خلال ذلك؟ وما هي نتيجة تقوى الله والإيمان برسوله؟ فالآية الكريمة تقول:

أولاً: يعطيكم كفلين من رحمته، أي نصيبين من رحمة الله، وهي إما رحمة فوق رحمة، أي رحمة مضاعفة كما يرى السيد الطباطبائي رحمه الله أو أنّها رحمة في الدنيا ورحمة في الآخرة من قبيل قوله تعالى: (**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**)[2]، كما يرى صاحب (الأمثل) أو غير ذلك. وليس مهماً فإنّ الشيء المهم هو أن يحصل الإنسان على رحمة الله، فإنّ رحمة الله تبارك وتعالى لا يعدلها شيء أبداً، يقول تعالى: ﴿**وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾[3].

ونقرأ في التفسير الروائي، كما في (فسير القمي) أنّ الكفلين هما الحسن والحسين عليهما السلام؛ وذلك من قبيل التفسير بالمصداق باعتبار أنّ الحسن

---

١ ــ النساء: ٦٥.

٢ ــ البقرة: ٢٠١.

٣ ــ الزخرف: ٣٢.

والحسين عليهما السلام من أوضح مصاديق رحمة الله تبارك وتعالى؛ فالنبي وأهل بيته عليهم السلام هم رحمة مهداة من قبل الله تبارك وتعالى، كما يخاطب الله نبيه قائلاً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[١]، وكما يقول هو صلى الله عليه وآله: «**إنما أنا رحمة مهداة**»، ولا شك أنّ أهل بيته كذلك، فالآية عامة والحسن والحسين من مصاديق رحمة الله تبارك وتعالى.

ثانياً: يحصل الإنسان من تقواه لله وإيمانه برسوله على نور يمشي به. وقد اختلفوا في ذلك النور، فرأي يقول: إنّه النور في الآخرة الذي أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٢]، حيث يسير المؤمنون نحو الجنان بنفوس مطمئنة، وبقلوب مستبشرة، ويسير النور أمامهم مسافة بعيده ينير لهم الطريق لمنازلهم الخالدة.

والرأي الثاني كما هو رأي السيد الطباطبائي يرى بأنّ ذلك تقييد بلا دليل والمقصود بالنور الأعم من نور الدنيا ونور الآخرة، بل هذا النور هو نور الدنيا الذي يستمر إلى يوم القيامة؛ ولذلك يقول المنافقون للمؤمنين يوم القيامة: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾[٣]، أي إنّ هذا النور لا يعطى هنا وإنّما يحمل من دار الدنيا، فمن كان ذا نور في الدنيا يكون ذا نور في الآخرة، ومن عاش في حياته الدنيا في

---

١ ـ الأنبياء: ١٠٧.

٢ ـ الحديد: ١٢.

٣ ـ الحديد: ١٣.

الظلمات، سوف لن يرى النور يوم القيامة. فالإنسان في الحياة الدنيا يكتسب هذا النور بقدر إيمانه وتقواه وعمله الصالح، كلما زاد إيمانه وتقواه وعمله زاد نوره كل بقدره. إذن هذا النور هو يعطى للإنسان في الدنيا، ولكن ما هو هذا النور؟

هذا النور هو نور الهداية والبصيرة، فالكافر والمنافق حياتهما كلها ظلمات متراكمة، ظلمات الفتن والأهواء والشهوات والجرائم، يخرج من ظلمة ويدخل في ظلمة أخرى لايهتدي إلى خير، ولا يصل إلى سعادة. والمؤمن حياته نور في نور لا يضيع في ظلمات الفتن والأهواء وإنّما الطريق أمامه واضح وجلي، لا يخفى عليه الحق عندما يلتبس الحق بالباطل نتيجة الفتن العمياء؛ لأنّه معه نور من ربه: ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا..**﴾[١].

فالإنسان بالحقيقة له بصران، بصر ظاهري وهو العين التي نرى بها الأشياء والألوان، وبصر باطني، وهو ما يعبر عنه بالبصيرة، ويبصر به الأمور المعنوية.

وهذان البصران متشابهان في كثير من الأمور، فكما أنّ البصر الظاهري مختلف من شخص إلى آخر ـ البعض بصره قوي والبعض بصره ضعيف ـ كذلك البصر الباطني حيث يكون ضعيفاً عند بعض الناس وقوياً عند البعض الآخر، كما يقال: فلان نافذ البصيرة، كما ورد في حديث الإمام

---

١ ـ الأنعام: ١٢٢.

الصادق عليه السلام، في حق أبي الفضل العباس عليه السلام: «**كان عمنا العباس نافذ البصيرة، صلب الإيمان..**»، فمن أهم صفات العباس ـ صلوات الله عليه ـ أنّه نافذ البصيرة، لا تهجم عليه اللوابس، ولا يضيع في الفتن كما ضاع الكثيرون في لجتها.

وهكذا نرى أنّ البصر المادي نتيجة لبعض العوامل قد يفقد، وكذلك البصيرة تعمى لمجموعة من الأسباب: ﴿**فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾[1].

ومن جملة المشتركات بينهما أنّ البصر المادي يحتاج إلى نور لكي يبصر الأشياء، وإلا فالإنسان في الظلام لا يرى الأشياء رغم وجودها، كذلك البصيرة لابد لها من نور حتى ترى الحقائق كما هي، وقلب الكافر لا يبصر إلاّ الحياة الدنيا وشهواتها وملاذها؛ لأنّه ليس له نور يبصر به ما وراء ذلك، ولكن قلب المؤمن نتيجة لإيمانه وتقواه وعمله الصالح يملك هذا النور؛ لهذا يرى قلبه ما هو أكثر من الحياة الدنيا، ينظر إلى الملكوت، وهذا النور الذي يتوفر عليه المؤمن يتجسد له يوم القيامة ويقوده إلى الجنة.

وهذا النور له مصاديق متعددة، فالإيمان نور، يطرد عن قلب الإنسان ظلم الشك والريب والقلق والاضطراب، والقلب الخالي من الإيمان بالله تعالى مثله كالبيت الخرب المظلم، الذي تنقبض النفس منه، فالإيمان يفتح

١ ـ الحج: ٤٦.

للإنسان آفاقاً رحبة جداً، ويسير به في أجواء الملكوت بعيداً عن ظلم الحياة الدنيا.

ولهذا نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوماً ما إلى شاب بعد صلاة الصبح وهو يخفق ويهوي برأسه قد نحف جسمه وغارت عيناه، فقال له: «**كيف أصبحت يافلان**»؟ قال: أصبحت يا رسول الله موقناً. قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك؟**»، قال: إنّ يقيني يارسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري، فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها، حتى كأنّي أنظر إلى عرش ربي وقد نصب للحساب، وحشر الخلائق وأنا فيهم...فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**هذا عبد نور الله قلبه بالإيمان**»[١].

هكذا نجد أنّ الصلاة نور وخصوصاً صلاة الليل، فقد روى الإمام علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**صلاة الليل نور**»، وأيضاً نرى أنّ القرآن الكريم نور يهدي الإنسان إلى سبل السلام، ويفتح قلبه على الله تعالى، فتقول الآية الكريمة: ﴿**قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ**

١ ـ الكافي ٢: ٥٣ / ٢.

﴿إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١] [٢]، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**عليك بتلاوة القرآن، فإنه نور لك في الأرض، وذخر لك في السماء**»[٣].

وهكذا نرى أنّه ورد في الروايات الشريفة أنّ المقصود بالنور هو الإمام، كما عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: **﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾**[٤]، قال عليه السلام: «**أي إماماً تأتمون به**»[٥].

وليس من شك أنّ إمام الحق هو نور إلهي يهدي من اتبعه أيضاً إلى سبل السلام، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّما مثلي بينكم كمثل السراج في الظلمة يستضئ به من ولجها**»[٦]، وكلما اقتربت من السراج كلما حصلت على نور أكبر في حياتك، وكلما ابتعدت عن ذلك السراج تضائل النور عندك حتى تقع في الظلام البهيم.

وهناك روايات كثيرة تعبر عن الأئمة بأنّهم نور، كما نقرأ في زيارة الحسين عليه السلام: «**أشهد أنك كنت نورا في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة**»، أو الحديث الذي يعبر عن الإمام الحسين أنّه مصباح الهدى الذي يهدي بنوره العالمين، وبالتالي فإن من يجهل إمام الحق وينكره سوف يعيش

---

١ ــ المائدة: ١٥ ــ ١٦.

٢ ــ يرى البعض أنّ المراد بالنور هنا هو شخص النبي صلى الله عليه وآله، ويرى آخرون أنّه القرآن الكريم، انظر: الأمثل: ٣ / ٥٧٧.

٣ ــ ميزان الحكمة: ٣٣٩٠.

٤ ــ الحديد: ٢٨.

٥ ــ الكافي ١: ٤٣٠.

٦ ــ نهج البلاغة: الخطبة ١٨٧.

في الظلمات، وسوف تتجسد هذه الظلمات يوم القيامة، ومن يعرفه ويتبعه سوف يعيش في النور وسوف يتجسد هذا النور يوم القيامة ويقوده إلى المنازل الرفيعة كما ورد في حديث رسول الله ﷺ مع علي عليه السلام: «**إنّ الله أعطى شيعتك ومحبيك سبع خصال: الرفق عند الموت، والأنس عند الوحشة، والنور عند الظلمة...**»[١].

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال لأبي خالد الكابلي: «**والله يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم والله ينورون قلوب المؤمنين، ويحجب الله عز وجل نورهم عمن يشاء فتظلم قلوبهم**»[٢].

وكلما ازدادت معرفة الإنسان بالإمام ازداد ذلك النور في نفسه، ولهذا نرى أبا الفضل العباس الذي يصفه الإمام الصادق عليه السلام بأنّه كان نافذ البصيرة كانت معرفته بالإمام معرفة كبيرة؛ ولذلك نقرأ في رجزه عندما قطعت يمينه:

والله إن قطعتمُ يميني إنّي أحامي أبداً عن ديني

وعن إمام صادق اليقين

لاحظ نفاذ البصيرة عند أبي الفضل العباس، لم يقل إنّي أحامي عن أخي باعتبار رابطة الأخوة التي تربطني به، ولكن قال: (وعن إمام صادق اليقين). فهذا الذي دافع عنه هو حجة الباري على الناس هو إمام الهدى، وهذا الإمام

---

١ ــ الخصال: باب السبعة.

٢ ــ شرح أصول الكافي (المازندراني) ٥: ١٧٧.

الذي دافع عنه هو إمام صادق اليقين، وهذا يدل على عمق معرفة العباس عليه السلام بمقام الإمامة.

فإنّنا نعرف من خلال متابعتنا للقرآن الكريم أنّ اليقين من أهم عناصر الإمامة، يقول تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾[1]، فاليقين من عنصر جوهري في الإمامة وليس هناك مجال لبيان ذلك، وهذا ما كان واضحاً في معرفة أبي الفضل لإمام زمانه، وهذه البصيرة كانت عند جميع أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، وقد شهد لهم بها الأعداء، ولذلك صاح عمرو بن الحجاج وهو من قادة معسكر ابن سعد بأصحابه: (ويلكم يا حمقى أتدرون من تقاتلون؟ تقاتلون فرسان أهل المصر، وأهل البصائر، وقوماً مستميتين لا يبرز منكم لهم أحد إلاّ قتلوه على قلتهم...).

فأصحاب الحسين عليه السلام كلهم كانت بصائرهم مفتوحة على الهدى والحق، وعلى معرفة الإمام، ولكنّ أبا الفضل العباس كان نانفذهم بصيرة وقد شهد له الإمام الصادق عليه السلام؛ ولمعرفته بالإمام ومقام الإمامة كان شديد الطاعة لأئمته عليهم السلام، وهذا ما يشهد به الصادق عليه السلام له في زيارته المعروفة: « **السلام عليك أيّها العبد الصالح المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين وللحسن والحسين عليهما السلام** ».

---

١ ــ السجدة: ٢٤.

بل يقال: إنّ طاعته ومعرفته للإمام الحسينعليه السلام وصلت به مرحلة كان لا يخاطب الحسين بكلمة أخي احتراماً له، بل كان يخاطبه بكلمة سيدي حتى وقع على الأرض صريعاً، مفضوخ الرأس، مقطوع اليدين، عند ذاك صاح: (أدركني يا أخي..).

فوصل صوته إلى مسامع أخيه الحسينعليه السلام فتصدع قلبه لسماع صوته، واسودّ الفضاء في عينيه، وجاء قاصداً إليه والحزن يقطع أحشاءه.

تعنه من الخيم للعلگمي حسيـــن يصيح بصوت يعضيدي وگعت وين
بعد ما شوف دربي يا ضوه العين يخويـــه الكـــون كلـــه بعيني اظلم

* * *

وصل إليه لكن بأيّة حال رآى أخاه، رأه مقطوع اليدين، والسهم بالعين، والمخ سائل على الكتفين:

لحظ عباس لحظه اشلون لحظه اعيونه شابجه ومحّـــد مغمضه
امجـــرح نايم ابحـــرة الرمـــضه راسه امفضّخ ومن غير زندين

* * *

وقف عنده، وضع يده على خاصرته، صاح: «**الآن انكسر ظهري، الآن قلت حيلتي، الآن شمت بي عدوي..**».

سهم عينك يخويه شلون اطلعه متعادل وسطهه وصعب شلعه
أريد اگعد عله فرگاك وانعه

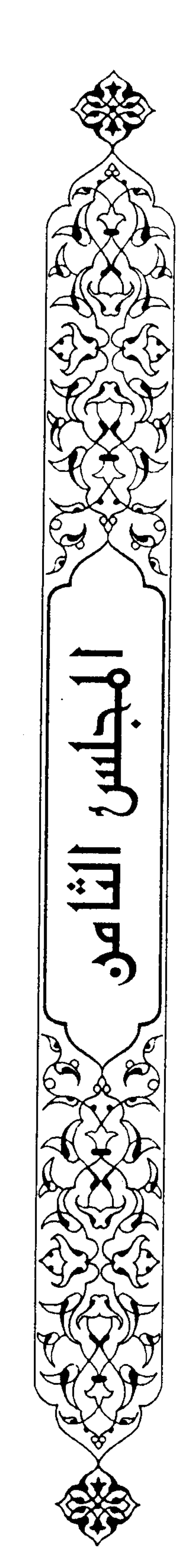
* * *

يخويه شلون سهم البين عيناك ادِيك اتكَطعت وانطفت عيناك
چنت أول نداي تصيح عيناك اشخفه صوتك يبو فاضل عليه

* * *

أاخيَّ نجم السعد بعدك قد أفــلْ وعليَّ جيش الحزن بعدك قد حملْ
أاخيَّ رزئك في قوى جيشي أخلْ أاخي يهنيــك النعيم و لم أخــلْ
ترضى بأن أرزئ وأنت منّعمُ

* * *



وقاية الأولاد من الإنحراف

المجلس الثامن:

وقاية الأولاد من الانحراف

يا دوحة المجد من فهر ومن مضرِ ... قد جفَّ ماء الصبا من غصنك النضرِ
يا درة غادرت أصدافها فعلت ... حتى غلت ثمنا عن سائر الدُّررِ
قدغال خسف الردى بدر الهدى فهوى ... فيا نجوم السما من بعده انتثري
حلو الشبيبة يا لهفي عليه ذوى ... من بعد إيناعه بالعز والظفرِ
ما اخضر عارضه ما دب شاربه ... لكن جرى القدر الجاري على القدرِ
فاغتال مفرقه الازدي بمرهفه ... فخر لكن بخد منه منعفرِ
يا ساعد الله قلب السبط ينظره ... فردا ولم يبلغ العشرين في العمرِ
لابن الزكي ألا يا مقلتي انفجري ... من الدموع دما يا مهجتي انفطري
مرملا مذ رأته رملة صرخت ... يا مهجتي وسروري يا ضيا بصري
بني تقضي على شاطي الفرات ظما ... والماء أشربه صفوا بلا كدرِ
بني في لوعة خلفت والدة ... ترعى نجوم الدجى في الليل بالسحرِ*

* * *

(*) القصيدة لشاعر أهل البيت عليهم السلام السيد صالح الحلي رحمه الله.

اتعبت برباك يا حلو المعاني وربيتك بجبي وكل حناني
ورِدتك ذخر لو ذبني زماني تباريني وتفرّج عني الهموم

* * *

تباريني وتكَر بالضيج عيني وتضحك بيك يالغالي سنيني
وبيوم العيد تتعنه وتجيني ويفرح بيك گلب امك المالوم

* * *

أعد لايامك الحلوه وتانيك واتمنه احضر بعرسك واعد ليك
واجيب الحـنّه يوليدي واحنيك وفصّلك يغالي بيض الهدوم

* * *

لاچن الدهر شتت شملنه وغده من الدمه چفك امحنه
مطبّر يبني عمك جابك النه وتتجاره عله ذرعانه الدموم*

* * *

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[١].

من المبادئ التي تتفق عليها جميع الحضارات مبدأ المسؤولية، لكن دائرة المسؤولية وطبيعتها تختلف من مجتمع لآخر، ومن حضارة لأخرى، فإذا أخذنا

(*) النعي لصاحب الكتاب.

١ ــ التحريم: ٦.

الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية كنموذج لذلك سوف نرى هذا التفاوت واضحاً. ففي الحضارة الغربية المسؤولية قانونية واجتماعية بدرجة ما؛ بمعنى أنّ الفرد في الغرب مسؤول أمام القانون فقط وأمام المجتمع بدرجة معينة قد تضعف وقد تشتد باختلاف المجتمعات الغربية، أما في الإسلام فالمسؤولية وإن كانت قانونية أيضاً بمعنى أنّ الفرد محاسب أمام القانون في الدولة الإسلامية، ولكنّها تتميز ببعد أخر لايوجد في الحضارة الغربية وهو ما يمكن تسميته بالمسؤولية الدينية أو المسؤولية الأخروية، أي إنّ الإنسان مسؤول أمام الله تبارك وتعالى يوم القيامة حيث يحاسبه على كل صغيرة وكبيرة ارتكبها في حياته. وهذا يعطي للمسؤولية في الإسلام لون آخر وعمق أكثر.

حيث إنّ الفرد الغربي في سلوكه العام لا يشعر إلاّ بأنّه مسؤول أمام القضاء فقط، وبالتالي قد يرتكب كثيراً من الجنايات بعيداً عن عين القانون، و لا يحس بأي عبئ عليه.

أمّا في الإسلام فالفرد وإن استطاع أن يتخلص من رقابة القانون والدولة إلاّ أنّه يحس برقيب يحصي عليه أعماله لا يمكن أن يفلت منه، وهذا الرقيب هو رقيب غيبي لا يفارق الإنسان أبداً، سواء في ذلك الملكان اللذان يكتبان ويحصيان أفعال الإنسان، أم الله الذي هو مطلع على السرائر، ولا يعزب عن علمه مثقال حبة خردل في الأرض ولا في السماء، وهو مع الإنسان أينما كان، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، وأنه سوف يقف أمامه في عرصة القيامة ليحاسبه على كل ما أحصاه عليه، وبالتالي سوف يتجنب الانحراف والظلم أكثر من غيره، وهذا ما أكدته الآيات الشريفة: ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم**

مَّسْئُولُونَ﴾[١]، ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إنَّ السمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادُ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤلاً﴾[٢].

هكذا نرى التفاوت في سعة دائرة المسؤولية، فالمسؤولية في الإسلام أوسع منها في الحضارة الغربية، فمثلاً الإنسان ليس مسؤلاً على عائلته إذا شذت وانحرفت سلوكياً؛ لأنّه غير مؤاخذ عليها قانونياً، وهو ليس مسؤولاً عن جاره إذا مات من شدة الفقر، وهو ليس مسؤلاً اذا رأى شخصين يتخاصمان ويتضاربان أن يصلح بينهما... إلى آخره، بينما نجد أنّ المسلم مؤاخذ ومسؤل عن كل ذلك. فمن هنا نجد الآية الكريمة تؤكد مسؤولية الفرد المسلم عن وقاية عائلته من الانحراف الذي يؤدي بها إلى نار جهنم، فهو مسؤول عن عائلته بنفس المستوى الذي هو مسؤول به عن نفسه: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾[٣].

ومن خلال ملاحظة اللحن الشديد في الآية الكريمة يتضح لنا مدى كبر المسؤولية الملقاة على عاتق الإنسان المسلم. فالمصير الخطير الذي تهدد به الآية الكريمة هو: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[٤]، ما هي طبيعة تلك النار؟ نحن لا نعرف ذلك بالدقة، ولكن نعرف أنّها تختلف عن نار الدنيا. فالنار في الدنيا وقودها الحطب والخشب والنفط والبنزين.. وهكذا، أما في نار الآخرة الوقود

١ ـ الصافات: ٢٤.
٢ ـ الإسراء: ٣٦.
٣ ـ التحريم: ٦.
٤ ـ التحريم: ٦.

هو أجساد الناس، والحجارة المترامية في قعر جهنم، كيف يتحول الإنسان إلى وقود لا سبيل لنا لمعرفة ذلك: ﴿**وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾.

ثم تقول الآية الكريمة: ﴿**عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ...**﴾[1] يعني سجن جهنم الملتهب الذي يتحول الإنسان فيه إلى وقود ملتهب كالجمر، والذي لا يجد فيه طعاماً إلاّ من الزقوم الذي يغلي في البطون، ولا شراباً إلاّ من الحميم الذي يقطع الأمعاء، ولا ثياب إلاّ من قطران أسود منتن، في هذا السجن الرهيب لا يستطيع السجين أن يهرب منه، ولا أن يتخلص من عذابه، لأنّ عليه حراساً غلاظاً شداداً، لا يرحمون من توسل إليهم، ولا يعطفون على من استغاث بهم، حتى إنّ بعض أهل النار يتسلقون ليصلوا إلى جرفها فيستريحوا قليلا، ويلتقطوا بعض الأنفاس، فيأيتهم هؤلاء الملائكة الغلاظ الشداد فيقمعونهم بمقامع من حديد فيعيدوهم على مكانهم الأول، كما يتحدث القرآن الكريم عن ذلك فيقول: ﴿**وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۞ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾[2].

هذا المصير الذي ذكرته الآية وهو مصير مرعب يدعونا لأنْ نقوم بمسؤوليتنا تجاه أنفسنا وأهلينا حتى لا نلاقيه يوم القيامة، أي إنّنا من خلال هذا المصير الرهيب ندرك عظمة المسؤولية الملقاة على عواتقنا تجاه أنفسنا وتجاه أهلينا. وأنا سوف لن أتحدث عن مسؤولية الإنسان تجاه نفسه؛ لأنّ حديثها

---

١ ـ التحريم: ٦.

٢ ـ الحج: ٢١ ـ ٢٢.

يطول، وهناك برامج وضعتها الأحاديث الشريفة وعلماء الأخلاق لذلك لعلنا نتعرض لها يوماً ما، لذلك سوف أقصر حديثي عن الأهلين والأولاد فقط؛ إذ إنهم يحظون بأهمية بالغة.

أولاً: دعونا نطرح هذا السؤال: كيف يقي الانسان أولاده من نار جهنم؟ سوف أضرب مثالاً يتضح من خلاله الجواب على هذا السؤال. لاحضوا أنّنا عندما نرجع إلى الوقاية من الأمراض المادية نرى أنّها تتكون من عدة عناصر، وطبعاً لابدّ أن نتذكر القول المعروف قبل كل شيء (الوقاية خير من العلاج)، فالإنسان أن يتقي الأمراض قبل حدوثها أفضل مما يعالجها بعد وقوعها، خصوصاً وأنّ بعض الأمراض إذا نشبت بالجسم من الصعب جداً التخلص منها، كذلك عليه أن يتقي الأمراض الأخلاقية حتى لايضطر إلى جهد لعلاجها بعد ذلك، مع ملاحظة أنّ بعض الامراض الخلقية كما هي الأمراض الجسدية عندما يصاب بها الإنسان قد لا ينجح في علاجها، فالوقاية خير من العلاج.

أما كيف يقي الانسان أولاده من الأمراض؟ الحقيقة أنّه يقوم بذلك من خلال مجموعة أمور:

الأول: هو توفير البيئه الصحية الصالحة للطفل، والحرص على عدم دخوله واقترابه من بعض الأماكن الملوثه التي قد تصيبه بجرثومة خطرة.

الثاني: زرقه بعض الأبر المضادة في صغره؛ لأنّ التلقيح في الصغر يقي الطفل كثيراً من الأمراض الخطرة.

الثالث: توفير الثقافة الصحية للطفل في أكله وشربه ونومه وسائر أمور حايته المختلفة؛ إذ إنّ كثيراً من الأمراض إنّما تنشأ من عدم امتلاك الإنسان للثقافة الصحية الكافية.

هذا بالنسبة الى الوقاية المادية، وأمّا بالنسبة للوقاية المعنوية فالأمر لا يختلف كثيراً عن ذلك.

فأولاً: لابد أن يوفر الأب لعائلته الجو النظيف الطاهر الخالي من الأمراض الاجتماعية والأخلاقية، فعليه أن يختار لسكناه منطقة هادئة متدينة خالية من أناس السوء، حتى وإن اضطر أن يبيع بيته وينتقل، إذا كانت المحلة التي يعيش فيها محلةِ موبوءة أخلاقياً؛ لأنّه لا يستطيع أن يحبس أولاده في البيت طول النهار، فلابد أنّهم سيخرجون خارج البيت، وسيلتقون بمن خولهم من الأطفال أو الشباب، وبالتالي ربما تصيبهم عدوى جراثيمهم الأخلاقية، ونِعم المقولة التي تقول (الجار ثم الدار).

ونحن نلاحظ أنّ الأطفال عندما ينتقلون إلى منطقة متخلفة ترى أهلهم يلاحظون تغيراً واضحاً في سلوكهم، من خلال بعض الكلمات النابية التي يستخدموها، أو غير ذلك.

وهكذا على الأب كما يحرص أن يسكن أبناءه في منطقة نظيفة، عليه أن يوفر الجو النظيف لأولاده داخل فضاء الأسرة، بأن لا يأتي بأسباب الفساد إلى بيته، حيث يأتي بالكتب أو المجلات التي تحمل أفكاراً منحطة، أو مواضيع مبتذلة ويضعها تحت متناول أيديهم، وحتى الوسائل المشتركة بين الفساد والصلاح كالتلفاز والستلايت والانترنت وما شابهها، التي يمكن أن تكون

بنّاءة ومفيدة، ويمكن أن تكون مدعاة للفساد والانحطاط عليه أن يكون دقيقاً في استخدامها، وأن يوجه أبناءه للإستفادة من معطياتها الإيجابية، ويبعدهم عن كل ما تنتجه من رذيلة وانحطاط.

نحن لانريد أن نحرم أبناءنا من عطاء العصر، وندعوهم للإنغلاق على أنفسهم، بل نريد منهم أن يتعاملوا معها تعاملاً إيجابياً نافعاً.

وينبغي أن يحرص على مراقبة أولاده أين يذهبون؟ وإلى أي أماكن يرتادون؟ وماذا يفعلون عندما يخرجون من البيت ومع من يتصادقون؟ لأنّ الأصدقاء لهم تاثير كبير على الأبناء باعتبار أنّ الصديق إذا كان منحرفاً يريد أن يجر صديقه معه إلى انحرافه حتى يخفف عن شعوره بالذنب؛ لأنه لو كان الشباب في المجتمع كلهم صالحين سوف يشعر الشاب المنحرف بالوحدة وبالشعور بالذنب. أما لو وجد إلى جانبه بعض الأصدقاء المنحرفين فإنّه سوف يستأنس بهم، وسوف لا يشعر بالذنب والتقصير؛ ولهذا ترى الصديق المنحرف يريد أن يجر صديقه إلى عمله بكل وسيلة.

أضف إلى ذلك أن الصديق شديد التأثر لا شعورياً بصديقه، فتراه يقلده ويحاكيه في كثير من تفكيراته وتصرفاته. وبعض الناس أبالسة شياطين يغوون ابن آدم بألف طريقة وطريقة، ولهذا ترى ان ادمان المخدرات وما شابهها في أغلبه يكون بتاثير سلبي من الأصدقاء. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»، أو كما يقول الشاعر:

كالريح آخذة مما تمر به نتناً من النتن أو طيباً من الطيب

فالأب لابد من أن يختار لابنه الصديق المؤمن المجد الواعي، ويبعده عن الفاسقين والبطالين، فإذا رآه يمشي مع أحدهم ينبغي أن يحذره وينهاه ويبعده عنهم. وعليه دائماً أن يراقب سلوكه، فيرشده ويسدده.

فانظروا إلى أئمتنا كم كانوا يهتمون بأولادهم، فهذا الإمام الرضاعليه‌السلام ذهب إلى خراسان مضطراً وترك ولده الإمام محمد الجوادعليه‌السلام وهو لا يزال صبياً في المدينة، ومع بُعد المسافة كان الإمامعليه‌السلام على اطلاع كامل بأحوال الجوادعليه‌السلام، وكان يبعث إليه النصائح والإرشادات من بعيد، وإن كان الإمام الجوادعليه‌السلام محفوفاً بعناية الله إلاّ أنّ الإمامعليه‌السلام يريد أن يعطينا درساً في ذلك. ففي يوم من الأيام يكتب كتاباً إلى ولده في المدينة يقول فيه: «بلغني أنّ الموالي إذا اخرجوك، أخرجوك من الباب الصغير ـ كان بيت الإمامعليه‌السلام له باب كبير يقف عليه الناس وأصحاب الحاجات، وباب صغير أو يقصد باب المدينة الذي يقف به السائلون يسألون المسافر والعائد ـ وذلك لبخل في أنفسهم لكي لا ينال أحد منك شيئاً، فبحقي عليك إلاّ ما خرجت من الباب الكبير، ثم ليكن عندك دراهم ودنانير، ثم لا يسألك احد شيئاً إلا أعطيته».

لاحظ كيف يراقب ولده، ويهتم به من بعده وعلينا كذلك أن نراقب أولادنا مراقبة دقيقة، وعلينا أن لانفرط في ذلك فيشعر الولد ـ خصوصاً إذا كان مراهقاً أو شاباً ـ بأنّه محاصر ومسلوب الحرية؛ لأنّ ذلك يجعله يعيش حالة من عدم الثقة بالنفس، وعدم الإستقلال والحرية، وله مردودات سلبية على الولد، وليس مجال بيانها الآن.

وعلى كل حال، فأول شيء يقي به الإنسان أولاده هو إبعادهم عن أجواء الفساد، كما يبعدهم عن الأماكن الملوثة الموبوءة حتى لاتصاب أبدانهم بفايروس خطير.

وثانياً: كما يعطيهم بعض المضادات الحيوية في صغرهم حتى يقيهم من بعض الأمراض الفتاكة، كذلك عليه أن يحاول إعطاءهم بعض المضادات المعنوية، فعلى سبيل المثال ورد في الروايات الشريفة أنّه يستحب أن يؤذن في اذن الطفل اليمنى ويقام في اذنه اليسرى بعد ولادته، وهذه سنة مؤكدة كان يفعلها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بينه الكرام عليهم السلام، وذلك لكي يسمع الطفل أول ما يسمع هذه الكلمات المباركة كلمة لا اله الا الله، محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى تكون مبدأ حياته، ومبدأ عقيدته وسلوكه.

وهذه السنن لها أثر معنوي كبير على الإنسان، ولها تاثير كبير على مستقبله قد لا نعرفه نحن، ولا نعرف تفاصيله. وقد ورد في علة ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنه عصمة له من الشيطان الرجيم»[١]، والعصمة هي ما يعتصم به وما يمتنع به، أي إنّه بإجراء هذه السنة عليه سوف يكون بمأمن من الشيطان الرجيم وتسويلاته.

ثالثاً: كما نوفر للطفل الثقافة الصحية اللازمة حتى نقيه من الأمراض الجسدية، كذلك علينا أن نوفر له الثقافة الإسلامية والدينية الكاملة حتى نقّيه من الإنحراف.

---

١ ــ مرآة الكمال ١: ٢٦.

والحقيقة أنّ على المؤسسات الدينية، والمراكز الإسلامية أن يفكروا بصورة جدية بتقديم الثقافة الدينية والأخلاقية للشباب وللاطفال على شكل كتيبات وكراسات ومجلات وأقراص كمبيوترية بما يتناسب مع فهمهم ومستواهم، وبلغة عصرية سهلة ويسيرة؛ لأنّ الأطفال وحتى الشباب اليوم ليس لديهم استعداد أن يقرأوا المطولات ككتاب (المحجة البيضاء) للفيض الكاشاني، أو (جامع السعادات) للنراقي، أو غيرهما من الكتب التربوية والأخلاقية الأخرى، فلابد من وجود برامج تربوية ميسرة وجذابة سواء كانت مقروءة أم مسموعة أم مرئية، خصوصا مع تطور التكنولوجيا، الذي أتاح لنا فرص كبيرة في هذا المجال.ولما نرجع إلى وصايا النبي وأهل بيته ــ عليهم صلوات الله ــ نجد أنّهم حثونا على تثقيف أبنائنا بمجموعة من الأمور الضرورية التي لا غنى لهم عنها، مثلاً يقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن**».

فالنبي وأهل البيت عليهم السلام هم الإسلام والأخلاق مجسدة في أرض الواقع، هم أخلاق تمشي على الأرض، وعندما يقتدي بهم الصبي أو الشاب، ويقتفي آثارهم لا شك أنه سيكون شاباً ملتزماً مستقيماً، ومبتعداً عن كل ما يؤدّي إلى الإنحراف. وحب النبي وأهل بيته عليهم السلام هو مقدمة لهذا الاتباع؛ لأنّ الولد لما يحب شخصية من الشخصيات يعتبره مثاله في الحياة ويسعى لمحاكاته في أفعاله وتصوراته؛ ولذلك ترى الأطفال والشباب عندما يحبون شخصية من الشخصيات سواء كان رياضياً، أم فناناً، أم ممثلاً تراهم يحرصون على أن

يتقمّصوا شخصيته في ذهنهم وفي سلوكهم، ويحاولون أن يجارونه في كل أموره حتى في لباسه وقصة شعره.

فعلينا أن نقدم أهل البيت عليهم السلام لأولادنا كنموذج وكقدوة، وأن نسعى جاهدين بأن نثبت حبهم في قلوب أولادنا، فإذا أحبوهم وتعلقوا بهم سوف يتبعوهم ولا شك، وإذا اتبعوهم فإنّهم سيعصمون من الانحراف، وسيسيرون في الصراط المستقيم.

وهكذا تعليمهم القرآن الكريم، فإنّ القرآن الكريم هو دستور الإسلام الأول، بل هو دستور الإنسانية، ودستور الأخلاق، فيه كل ما يغني الفكر، وما يشبع العاطفة، وما يهذب السلوك.

القرآن كما يعبر هو عن نفسه بأنّه نور يهدي الذين يتبعونه ويهتدون بهداه إلى سبل السلام: **﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾**[١]، وإذا تعلم الأولاد القرآن الكريم، تعلموا قراءته وتلاوته، وتعلموا مضامينه العالية في سنّ الصبا وسن الشباب، سوف يختلط القرآن بدمهم ولحمهم وتصبح شخصياتهم شخصيات قرآنية، وإذا اختلط القرآن بنفوسهم فسوف لن يكون للشيطان عليهم سبيل. ففي الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام: **«من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه، وجعله الله مع السفرة الكرام البررة، وكان القرآن حجيزاً عنه يوم القيامة،**

١ ـ المائدة: ١٦، يرى البعض أنّ المراد بالنور هنا هو شخص النبي صلى الله عليه وآله، ويرى آخرون أنّه القرآن الكريم. الأمثل ٣: ٥٧٧.

يقول: يارب إنّ كل عامل قد أصاب أجر عمله غير عاملي، بلّغ به أكرم عطائك، فيكسوه الله العزيز الجبار حلتين من حلل الجنة ويوضع على راسه تاج الكرامة. ثم يقال له: فهل أرضيناك فيه، فيقول القرآن: يارب كنت ارغب له فيما هو أفضل من هذا، فيعطى الامن بيمينه، والخلد بيساره ثم يدخل الجنة فيقال له: اقرأ آية فاصعد درجة»[1].

وليعلم الأبوان بأنّ تعليمهما القرآن لولدهما بالإضافة إلى ثماره الكبيرة التي سوف يقتطفاها في الحياة الدنيا، ومنها أنّ الولد سوف ينشأ مستقيماً لا يسبب لهم أيّة مشكلة، ولا يجلب لهم أي أذى، إلاّ الخير والبركة، وسوف يريان منه البر بهما، كما سيكون لهما ذكراً طيباً بعد رحيلهما عن الدنيا، بالإضافة إلى كل ذلك سوف يحصلان على ثواب كبير من الله تبارك وتعالى.

جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من قبل ولده كتب الله عز وجل له حسنة**»؛ لأنّ حب الولد وتقبيله من الإيمان.

عن الامام الصادق عليه السلام: «قال موسى بن عمران عليه السلام: يارب أي الأعمال أفضل عندك؟ قال: حب الاطفال فإنّ فطرتهم على توحيدي»، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقبل الحسن والحسين عليهما السلام فقال الأقرع بن حابس: يا رسول الله إنّ لي عشرة ما قبلت واحداً منهم قط، فغضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى التمع لونه، وقال للرجل: «ان كان الله قد نزع الرحمة من قلبك فما أصنع بك من لم يرحم صغيراً و لم يعزز كبيراً فليس منّا». وخصوصاً البنات.

---

١ ــ وسائل الشيعة ٦: ١٧٨.

فعن رسول الله ﷺ: «**نعم الولد البنات المخدرات من كانت عنده واحده جعلها الله ستراً له من النار**»، فالنبي ﷺ يقول: «من قبل ولده كتب الله له حسنة، ومن فرّحه ـ اشترى له شيئاً ما مثلاً أو أخرجه في سفرةٍ ـ فرّحه الله يوم القيامة، ومن علمه القرآن ـ وهو موضع الشاهد ـ دعي الأبوين فيكسيان حلتين يضئ من نورهما أهل الجنة»[1]، فعلى الأبوين أن يبذلا كل ما بوسعهما من أجل زرع روح الإيمان وروح القرآن في نفوس أولادهم، خصوصاً في فترة الصبا والشباب فإنّها أخصب فترة يمكن أن تثمر فيها الجهودِ كما ورد في الرواية الشريفة، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إن قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته**»[2]، وكما يقول الشاعر:

إن الغصون إذا عدّلتها اعتدلت ولا ينفع التعديل في يابس الخشب

هذه الفتره ـ فترة الصبا ـ هي التي ينبغي أن نربي ونهذب بها أولادنا، ولنعلم أنّ الولد الصالح لا يكون صالحاً جزافاً، وإنما لابد من تربية ولابدّ من جهود ومساعٍ في سبيل ذلك، فالولد كالثمرة إذا رعيتها واهتمت ببستانك وسقيته الماء وابدت منه الحشرات الضارة سوف يؤتيك ثماراً طيبة.

إذن الولد الصالح هو ثمرة التربية الصالحة؛ ولذلك نرى تربية أهل البيت عليهم السلام لأولادهم أنتجت لنا أولاداً وشباباً ظلوا مضرب المثل في إيمانهم ووعيهم واستقامتهم، وشجاعتهم. لاحظوا مثلاً القاسم بن الحسن المجتبى بن

---

١ ـ ميزان الحكمة ٨: ٣٦٦٩.

٢ ـ بحار الأنوار ١: ٢٢٣.

علي أي شاب كان، بل على بعض الروايات لم يبلغ مرحلة الشباب، و لم يبلغ الحلم؛ ولكنّه كان مليئاً بالحيوية والإيمان والشجاعة والتضحية من أجل الدين.

يقول حميد بن مسلم خرج علينا غلام كأنّ وجهه شقة قمر طالع، وفي يده سيف، وعليه قميص وإزار ونعلان، وقد انقطع شسع نعله لم أنس أنّها اليسرى، فانحنى ليصلحها غير عابئ بالجيش، فقال لي عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي: والله لأشدن عليه فأثكل به عمه الحسين، فشد عليه اللعين وضربه بالسيف فوقع لوجهه، وراح يتمرغ بدمائه، ويتقلب على الثرى من شدة الألم، فرفع صوته قائلاً: عم يا حسين أدركني، فجاءه الحسين عليه السلام مسرعاً فوجده يفحص بيديه ورجليه كالطير المذبوح، عند ذلك قال بنبرة يشوبها الحزن والأسى: «بني قاسم، يعز والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك، أو يجيبك فلا ينفعك، بعداً لقوم قتلوك، ومن خصمهم يوم القيامة جدك وأبوك..».

لفاه لحومة الميـــدان عمه لگاه مطروح ومعفـــر بدمه
حنه ظلوعه عليه وگعد يمه يشمه وعن جبينه يمسح الدم

* * *

يعمي من شرگ هامتك نصين يبعد اهلي صواب اليوجعك وين
يعمي شلون اشيلك للصووااين وانته من الطبـــر جسمك امخذم

* * *

شالــه وللمخيم بيــه سدر وحط جاسم يويلي بصف الاكبر

گعد ما بينهم والــدمع فجر   تشب نــاره وعليــه تراكم الهم

* * *

عند ذلك سمعت أمه بالنبأ، فاسودّ الفضاء في عينها، وتشظى قلبها من لوعة المصاب فجاءت إلى زينب وطلبت منها أن تستأذن من الحسين عليه السلام لكي تدخل على ولدها فتنوح عليه نياح الثكلى، فاستأذنت من الحسين عليه السلام فدخلت هي والنساء.

* * *

طبن من طلع من خيمته حسين   وما تدري الصايح گبّر منين
حگهن لو بچن ويهملــن العين   وكل وحده ابنهــا اموزعينه

* * *

رمله اتصيــح يوليدي يجــاسم   عمت عيني عله التربان نايم
ترد ليه من الحرب ظنيت سالم   وتالي اجيت نحــرك ذابحينه

* * *

شكثر صــوتي عليك بليل لوله   يحلو اطباع يلما بيك لــوله
ردت يبني أمــوت ويــاك لوله   بيد الله يبعد أهــلي المنيــه

* * *

المجلس التاسع

العمل الباقي

المجلس التاسع:

العمل الباقي

تاللهِ لا أنسى الحسين مودعاً شبهَ النبي وقلبُهُ يتوقدُ
يرنو إليهِ ودمعُهُ متدفقٌ من مقلتيهِ ووجدُهُ لا يبردُ
ويودُ لو بين الظلوعِ يضمُهُ وبقلبهِ دونَ البسيطةِ يرقدُ
فتعانقا بين الخيام كأنّما بدرٌ يعانقهُ العشيةَ فرقدُ
ثمَّ انثنى نحو الكريهةِ مُفرداً وبكفه ماضي الغرار مهندُ
فتخاله أسداً أطلَّ مزمجراً يضرى على طول التزالِ ويزبدُ
وكأنه الكرارُ شدَّ مفرقاً جمع الكتائبِ للجماجم يحصدُ
حتى قضى بينَ الصفوفِ موزعاً وعليه أطرافُ الأسنةِ سجّدُ
ما بلَّ من صفوِ المعينِ حُشاشة راحت يؤججُها الأوام المُجهدُ
جمدتْ عليه دماؤهُ وكأنّما خلطَ اللجينَ بوجنتيهِ العسجدُ
هيهاتَ لا أنسى أباه وقد غدا يرثيه من وجد الفراقِ وينشدُ
أبنيَّ قد أورى المصابُ حشاشتي والكونُ في عينيَّ بعدكَ أسودُ
أبنيَّ ما صبري وأنت مقطعٌ بشبا السيوفِ وللثرى متوسدُ

أدميتَ قلبي يا شبيهَ محمدٍ فكأنما قد غاب عنيَّ أحمدُ
ورقدت في حر التراب وقد غدا يبكيك ياولدي العلى والسؤدد

* * *

عسنيّ لا شفت يومك يرجواي يا شمعة حياتي وبدر دنياي
رحت بويه گبل لا تشرب الماي وييس گلبك من الحر يا ضوه العين

* * *

يريت الموت أخذني ولا أنظرك مخضب بالدمه من فيض نحرك
ومن نَزف الجروح انخسف بدرك وذبل عودك مثل عود الرياحين

* * *

موزع يا علي وشلون المّك ولو بيدي بوسط حشاي اضمك
شگل لعمتك لو جتني وامك ينشدني علي الاكبر وگع وين

* * *

يبويه لجيتك عمتك تتنه وتتنطر گبال الخيم سكنه
تجر ونه عليك بأثر ونه وعمامك يا شهم كلهم محزنين*

* * *

(*) القصيدة والنعي لصاحب الكتاب.

روي عن رسول الله ﷺ:

«إذا مات المؤمن انقطع عمله إلاّ من ثلاث: صدقةٍ جارية، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له».

هذا الحديث المبارك يدل على أنّ الإنسان المؤمن إذا مات انقطع عمله؛ لأنّ دار الدنيا هي دار عمل والآخرة دار جزاء، فأنت ما دمت حياً قد أعطاك الله عزوجل الفرصة لكي تعمل الصالحات، وتكتسب الحسنات حتى تنتفع بها يوم لا ينفع مال ولا بنون، وعليك أن تستغل فرصة العمر لكي تكتسب أكبر قدر ممكن من الزاد لسفرك الطويل؛ لأنّه بمجرد أن تلفظ أنفاسك، ويقف عليك ملك الموت سوف تنتهي هذه الفرصة المحدودة، ولايسمح لك بعدها بأن تعمل وتكتسب الخيرات: **﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۞ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾**[١].

فعلينا أن نستغل هذه الفرصة المتاحة قبل أن يأتي علينا الموت وحينئذ لا يستطيع المقصر أن يتدارك ما فات، لأنّه كما قلنا: إنّ الدنيا دار عمل والآخرة دار جزاء لا عمل فيها، ولذلك ورد في الحديث الشريف: **«اغتنم أربعاً قبل أربع: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك».**

---

١ ـ المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠.

في الحياة الدنيا إذا فاتتك فرصة معينة لم تربح فيها تقول: لاضير سوف تأتي فرصة أخرى أعمل فيها وأربح، أما فرصة العمر إذا فاتت و لم تحصل منها على شيء فليس هناك فرصة أخرى يمكن أن تستغلها.

ولكن رحمة الله تبارك وتعالى بالإنسان ولطفه به، وعلمه بضعفه وجهله فتح للإنسان المؤمن أبواباً أخرى من الثواب حتى بعد موته، وهذا من فضل الله تبارك وتعالى، وإلاّ فالإنسان قد استوفى أيام عمره وبالتالي قد استوفى الفرصة التي منحها الله له وتمت الحجة عليه بذلك، ولكن الله عزوجل فتح للإنسان من باب رحمته أبواباً أخرى يمكن للإنسان أن يستفيد منها بعد وفاته، فكل ما يعمله الإنسان الحي للميت يصل نفعه إليه سواء كان فرضاً أو نفلاً، وهذا ما وردت به الروايات الشريفة عن النبي وأهل بيته عليهم السلام وحكم به الفقهاء تبعاً لها.

نعم، هناك رأي لبعض المذاهب الأخرى يرى عدم صحة قضاء الصلاة والصيام عن الميت وأنه لا ينتفع بذلك. وبعبارة أوضح هم يفرقون بين الفرائض المالية والفرائض البدنية، فالفرائض البدنية يرون أنّها لا تجوز الاستنابة فيها عن الميت؛ وذلك لأنّها متعلقة بنفس الميت، وتجب فيها النية من نفس الإنسان، يعني هي فرائض يجب الإنسان أن يؤديها بنفسه، ولا تسقط عنه إذا ما أداها عنه غيره. كالصلاة مثلاً والصيام ــ ما عدا الحج فإنّه تجوز فيه النيابة في الحياة للعاجز ــ فكما أنّها في الحياة لابد أن يؤديها نفس المكلف لا غير، فكذلك بعد الوفاة. أما الفرائض المالية، كالزكاة مثلاً فإنّه من الممكن أن

تؤدى عن الميت لأنّها تتعلق بالمال، والمفروض أنّ المال موجود بعد وفاة الإنسان، فتخرج مستحقات الزكاة من ماله[١].

أمّا في المذهب الإمامي فيجوز قضاء الفرائض الفائتة عن ذمة الميت سواء كانت فرائض مالية أم بدنية ـ على تفصيل مذكور في كتب الفقه ـ وهو ينتفع بذلك بعد موته، وتظل ذمته مرهونة بها إلى أن تقضى عنه؛ وذلك تبعاً للروايات الشريفة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، وهكذا وردت به روايات عن طريق أهل السنة كما في الحديث الذي يرويه البخاري في الصوم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**»، وهو عندهم حديث صحيح، وهكذا الخبر الآخر عن ابن عباس، قال: جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: يارسول الله إنّ أمي ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**لوكان على أمك دين أكنت قاضيه عنها؟**» قال: نعم. قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**فدين الله أحق أن يقضى**»[٢]، وغير ذلك من الأحاديث الأخرى.

نعم، هناك اختلاف بين فقهاء الإمامية في أنّ أعمال القضاء هل يعود منها ثواب إلى الميت أم إنّها مجرد إسقاط تكليف. البعض يرى بأنّها مجرد إسقاط تكليف كالسيد المرتضى، وابن زهرة وغيرهما [٣]، والبعض الآخر وهو المعروف بين الفقهاء يرى أنّ فيها ثواباً يصل للميت؛ وذلك للروايات الكثيرة التي دلت على انتفاع الميت بما يعمل له سواء كان فرضاً يقضى عنه أم برّاً يهدى إليه؛

---

١ ـ الفقه على المذاهب الخمسة: ١٣٢.

٢ ـ المجموع (محيي الدين النووي) : ٣٦٩.

٣ ـ الانتصار (المرتضى): ١٩٨، والغنية (ابن زهرة): ١٠٠.

كصحيحة حمّاد بن عثمان، عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إن الصلاة والصوم والصدقة والحج والعمرة وكل عمل صالح ينفع الميت، حتى إنّ الميت ليكون في ضيق فيوسع عليه، ويقال: هذا بعمل ابنك فلان، وبعمل أخيك فلان، أخوه في الدين**»[1].

وعن هشام، قلت للصادق عليه السلام : يصل الميت الدعاء والصدقة والصلاة ونحو هذا؟ **قال** عليه السلام: «**نعم**» قلت: ويعلم من صنع ذلك به؟ قال: «**نعم**»، ثم قال: «**يكون مسخوطاً عليه فيرضى عنه**»[2]، وهذا الحديث يدل على أنّ الأرواح تبقى حيّة بعد الموت حيث إنّ الموت يقضي على جسم الإنسان فقط فيتبدد بالصعيد، أمّا روح الإنسان فتبقى حية وشاعرة أيضاً في بعض الأحيان بحيث تعرف ما يصل إليها من الحياة الدنيا وتعرف من يعث لها ذلك الثواب. وهكذا ورد في الروايات الشريفة أنّها تفرح كما يفرح الحي عندما يهدى له هدية معينة، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إن الميت ليفرح بالترحم عليه والاستغفار كما يفرح الحي بالهدية تهدى إليه**».

وقد ورد في الروايات الشريفة أنّ ثواب ذلك يصل للميت وللحي العامل له معاً، كما عن الصادق عليه السلام: «**ما يمنع الرجل منكم أن يبر والديه حيين وميتين يصلي**

---

١ ـ مدارك الأحكام (السيد محمد العاملي) ٧: ١٣٢. وسائل الشيعة ٥: ٣٦٨.

٢ ـ الحدائق (البحراني) ١١: ٣٣، ويظهر من الحديث الصلاة الواجبة؛ لأنّها هي التي يسخط عليه بتركها كما يقول المؤلف.

عنهما ويتصدق عنهما ويحج عنهما ويصوم عنهما فيكون الذي صنع لهما وله مثل ذلك فيزيده الله ببره وصلته خيراً كثيراً».[١]

فالميت بناء على الروايات الشريفة الكثيرة ينتفع بما يعمل له بعد وفاته.

ولكن ينبغي أن نذكر أنما يعمل للإنسان بعد وفاته لا يصل إلى درجة ما يعمله في حياته؛ وذلك واضح؛ إذ إنّ عمل الإنسان في حياته فيه معاناة ومشقة، جسدية ونفسية يؤجر عليها أما ما يعمل له فليس له تلك المعاناة، مثلاً الإنسان عندما يتصدق في حياته أو يدفع الحقوق الشرعية يشعر ببعض المعاناة والمشقة، ومحاربة النفس وأهوائها وغرائزها بخلافه بعد الموت، فلو تصدق أولياء الميت بكل ماله لايشعر بحرج بل بارتياح؛ ولذلك ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه ذات يوم تصدق أولياء بعض الموتى عن أبيهم بمال كثير، فجاؤوا به للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فشكرهم على هذا العمل الصالح، ولكنّه تناول حشفة يابسة وقال: «**لو تصدق بهذه في حياته لكان خيراً له من كل ذلك**».

ولهذا على الإنسان أن يبادر للعمل في حياته، ويصفي حسابة قبل أن يرحل عن الدنيا ولا يتكل على أولاده بعد موته؛ لأنّهم قد لا يكونوا صالحين، أو قد يغلبهم الشيطان كما قد غلبه فلا يفعلوا له شيئاً، وحتى إن فعلوا له شيئاً ما فإنّه ليس كالذي يفعله لنفسه في حياته.

ينقلون عن رجل اسمه (عباسقلي) وكان رجلاً متمولاً في مدينة مشهد المقدسة، ولديه أموال وبساتين وأراضٍ كثيرة، وكان له مجموعة من الأولاد،

---

١ ــ نفس المصدر، وهكذا الوسائل باب قضاء الصلوات .

وكان أحدهم مقرباً من أبيه جداً وكان ملازماً له، ويقوم بخدمته وينجز له أعماله، وكان غالباً عليه الصلاح. وفي ذات يوم كان يسير مع أبيه في الليل وهو يحمل المصباح أمامه، فراح الأب يحدثه ويوصيه ويقول: بني أنت تعلم أنّ لدي أموالاً كثيرة وأنا قد كبرت وأشرفت على الموت، فأطلب منك باعتبار أنّي أعلم صلاحك وتقواك أن تنفذ ما أوصيك به. فالأرض الفلانية اجعلها صدقة على الفقراء، والبستان الفلان اجعله وقفاً على الإمام الرضاعليه السلام، والمال الفلاني افعل به كذا، وراح يوصيه على هذه الشاكلة، والولد يستمع ما يقول وهو يسير أمامه. ولكنه بدأ يتراجع شيئاً فشيئاً إلى الوراء حتى صار خلف أبيه، والأب مشغول بالحديث وكان ضعيف البصر فعثر ووقع على وجهه. فصرخ بابنه يا هذا ما هذا الغباء هل المصباح يحملونه خلف الإنسان أم أمامه؟!

قال: كلا، المصباح يحمل أمام الإنسان. قال: فلِمَ رجعت إلى الوراء؟ قال: أريد أن اُنبهك على شيء وهو كما قلت: إنّ المصباح يحمل أمام الإنسان حتى ينتفع به تمام الانتفاع، ولا يحمل خلف المرء، فلماذا لا تحمل مصباحك أمامك، وتريد مني أن أحمله خلفك؟ لماذا لا تفعل كل ما قلته في حياتك حتى تأتي لقبرك وتجده مضاءً، أنت تريد أن تذهب إلى قبر أظلم وتنتظر أن يأتي إليك النور من خلفك.

وهذه في الحقيقة حكمة بالغة؛ إذ علينا أن نجتهد في أن نمهد قبرنا ونضيئة قبل أن نصل إليه، ولا نذهب إلى قبر أظلم موحش، وننتظر أن يصلنا النور من خلفنا، وقد يصلنا وقد لا يصلنا.

الشاهد في ذلك أنّ الله عزوجل لم يسد الباب تماماً على الإنسان، بل فتح الباب أمامه ليكتسب الثواب وهو ثاوٍ في قبره، سواء من قبل الناس الذين يقدمون له أعمال البر، أو من خلال بعض الآثار التي يخلفها في حياته، وتبقى تدر عليه ثواباً بصورة مستمرة، وهو ما أشار إليه الحديث الشريف: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث..**»:

أولاً: صدقة جارية، والمقصود بها الأوقاف التي يحبسها المؤمن في سبيل الله كأن يقف مسجداً، أو مدرسة، أو بيتاً، أو بستاناً، أو ما شاكل ذلك من أمور أخرى في سبيل الله تعالى، فإنّ ثواب ذلك يبقى متجدداً للإنسان ما دام الوقف.

وثانياً: علم ينتفع به، كأن يترك الميت من ورائه كتاباً أو شريطاً مسجلاً ينتفع به المؤمنون بعد وفاته، فإنّه يتجدد له الثواب كلما قرأه شخص واستفاد منه، ولكن العلم النافع لا العلم الضار؛ لأنّ البعض قد يترك كتاباً مثلاً فيه إشاعة للمنكر، أو هدم للدين، أو تشكيك بعقائد المسلمين فيضل الناس به، وهذا لا يأتيه منه إلاّ الوزر بل كل من قرأه وضل به وانحرف يتحمل وزره هو؛ لأنّه وإن كان القرآن الكريم يقول: ﴿**وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾[1]، إلاّ أنّ هذه الآية مقيدة ببعض الأعمال التي يتحمل فيها الإنسان وزر الآخرين، ومنها أن يكون الإنسان سبباً في ضلال الآخرين فإنه يتحمل وزر الذين يضلهم، يقول تعالى: ﴿**لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ**

---

١ ــ الإسراء: ١٥.

عِلْمٍ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ﴾[١]، فالذي ينتفع به الإنسان بعد موته هو العلم النافع الذي يهدي الناس إلى الصراط المستقيم.

ثالثاً: الولد الصالح الذي يدعو له، فهو ذخر للإنسان بعد موته، سواء كان ولداً أم بنتاً؛ لأنّه في بعض الأحيان الإنسان لا ينتفع بولده الذكر شيئاً، وينتفع ببنته كثيراً، فتقرأ له القرآن، وتستغفر له، وتعمل له أعمال البر، فالمهم من ذلك كله أن نحرص على أن يكون أولادنا ذكور وأناث أولاداً صالحين، فإنّهم سوف يكونون قرة أعين لنا في الدنيا والآخرة؛ لأنّه إذا لم يكن الولد صالحاً فإنّه سوف يكون كارثة على الإنسان، لايحصل منه إلا على الهم والحزن في حياته وآخرته، يقول القرآن الكريم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ...**﴾[٢]، ولهذا على الإنسان ألاّ يهتم كثيراً بكون الولد ذكراً مثلاً، بل عليه أن يهتم بكونه صالحا؛ ولذلك عليه عندما يدعو الله أن يرزقه ولداً عليه أن يرزقه ولداً صالحاً، وإلاّ إذا لم يكن صالحاً فعدمه خير من وجوده.

وينبغي أن لا نكتفي بالدعاء فقط، وإن كان الدعاء ضرورياً جداً، بل علينا أن نسعى ونبذل الجهود من أجل صلاح أولادنا؛ ولذلك القرآن يعلمنا أن ندعو بصلاح أولادنا وذرياتنا، يقول تعالى: ﴿**وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[٣].

---

١ ــ النحل: ٢٥.

٢ ــ التغابن: ١٤.

٣ ــ الأحقاف: ١٥.

وهناك أدعية خاصة للأولاد كدعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السجادية. فالدعاء ضروري ومهم، ولكن ما أقوله: هو أنّنا ينبغي أن لا نكتفي بالدعاء فقط، بل علينا أن نبذل جهودنا في سبيل بناء أولاد صالحين من خلال الاهتمام والتربية الصالحة؛ لأنّ الولد الصالح هو ثمرة التربية الصالحة، كما أنّ الشجرة لو اهتممت بها، وهذبت أغصانها، وحفظتها من الآفات وسقيتها الماء سوف تنتج ثماراً جيدة كذلك الولد.

إذن التربية لها دور مهم وأساس في صلاح الولد الذي يعود صلاح في الحقيقة لنا في دنيانا وأُخرانا.

ولذلك نرى التربية الصالحة لأهل البيت عليهم السلام أنتجت لهم أولاداً كانوا القمة في الصلاح والوعي والبصيرة والتضحية والفداء، كعلي الأكبر سلام الله عليه، لقد كان علي الأكبر مثالاً رائعاً للولد الصالح في كل جوانبه؛ ولهذا استأثر بقدر كبير من قلب الحسين عليه السلام ومن مشاعره، كان يحبه حباً لا مثيل له لا لأنّه مجرد ولد، بل لأنّه بالإضافة إلى ذلك كان أشبه الناس برسول الله خَلقاً وخُلقاً، ولذلك هدّ مصرعه أباه الحسين أكثر من مرة، فالمرة الأولى عندما ودعه ومضى للقتال حيث يروي المؤرخون أنه احتضنه حتى وقعا على الأرض.

والمرة الثانية وهي الأشد والأمض عندما رآه مقطعا بالسيوف إرباً إرباً فوقف عليه والألم يعتصر قلبه، وقال: «**بني علي على الدنيا بعدك العفا**»، ثم ألقى بنفسه عليه واحتضنه، ووضع صدره على صدره.

الله يعين أبــو الأكبــر لمــن شافــه مــدمّه

حط ايده عله خاصرتـــه ثنى اركبه وگـــعد يمه
وحط صدره عله صدره وذرعانه تحت جسمه
ونام وياه طـــول بطول يحب اوليـــده ويشمه

* * *

يبويه من عدل راســـك ورجليـــك اومن غمض عيونك واسبل ايديك
ينور العين كل سيف الوصل ليك گطع كلبي ولعند حشاي سدر

ثم صاح يا بني هاشم احملوا أخاكم، والله لا طاقة لي على حمله فجاؤوا به إلى الخيام والحسين ينادي واولداه واعلياه.

* * *

شالوا للخيم مهجة الهادي واجت عمته عليه تبچي وتنادي
عفتنه يا علي ابين البوادي وعلينه اعـــدانه ملتمه الصوبين

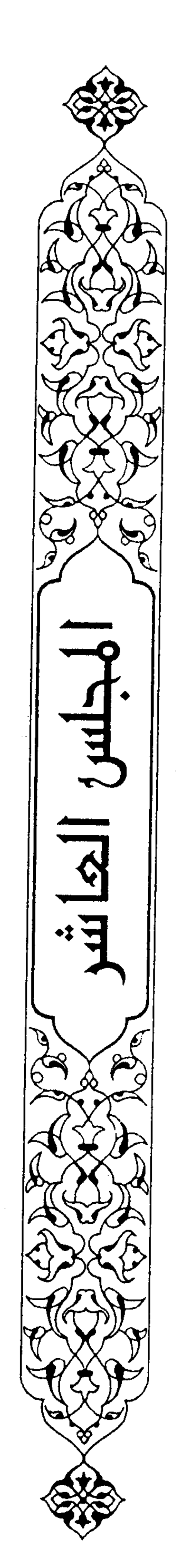
* * *

عسنّي لا شفت يومك يالاكبر ولا حاتفني بيك الموت الاگشر
شلون اصبر واشوفنك مـــوذر واشوف عداك بمصابك معيدين

* * *

صاحت يا علي هدّيت حيلي يا شمعـــة حيـــاتي وبدر ليلـــي
شنهو اليالمـــك عمه احچيلي حتى اگعد واضمده يا ضوه العين
فلهفي على ذاك المحيـــا معفرا ولهفي على تلك الخدود النواعم

* * *



القلب السليم

المجلس العاشر:

القلب السليم

مانفكَ شجوي في الأضالعِ ثاويا ومدامعي تهمي الدموعَ جواريا
وحشاشتي قرحى يؤرقُها الأسى دارت عليها الموجعاتُ جواثيا
لمصيبةٍ حلتْ بآلِ محمدٍ أمست لها حتى الصخورُ بواكيا
يومَ انثنى سبطُ النبي بطفله لهفانَ مسجورَ الجوانحِ صاديا
فأتى به نحو العداةِ مبرَّحاً وغدا بجمعِهِمُ يصيحُ مناديا
هل شربة تسقونَ طفليَ إنّه منهُ الفؤاد غدا يؤجّج واريا
فتخارسوا عندَ الجواب وإنّما كان الجواب له جواباً قاسيا
ذبحوه في حضن الحسينِ وأودعوا بوريده سهمَ المنية باريا
فأعاده نحوَ الخيام لأمّه ودموعُهُ تحكي السحابَ غواديا
فرأته محزوزَ الوريدِ مضمخاً بدمائه طاوي الحشاشة ذاويا
نادته يا ولدي رجوتُكَ تغتدي ريانَّ قد رُويتَ ماءً صافيا
منعوكَ من شرب المعينِ وحولهم يجري الفراتُ على البسيطةِ ظاميا
ولدي رجوتُ الموتَ بعدك ضمني وغدت لأشجاني الحتوف أمانيا

هيهات أن أنسى وتبردَ مهجتي ونواظري ترنو لمهدكَ خاليا
ألمن أُناغي في المغيبِ وقد غدا سهمُ المنية للرضيعِ مناغيا

* * *

يبيني يعبـــد الله يغـــالي بربـــاك ساهرت الليالي
ما حسبت بالوكت تالي يذبني ويخلي الدمع هالي
أهز بالمهد والمهد خالي

* * *

قال تعالى:

﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ ۞ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1].

من المباحث التي استاثرت باهتمام كثير في النصوص الإسلامية على مستوى القرآن الكريم والسنة المطهرة مبحث القلوب، فهناك عشرات النصوص التي تحدثت عن القلب وتناولته من زوايا مختلفة.

والمقصود بالقلب في لسان الآيات والروايات الشريفة هو الروح كما يرى السيد الطباطبائي تلك اللطيفة الألهية التي يقول عنها القرآن: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[2]، والتي هي منشأ الآثار وبها يكون الإنسان إنساناً: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾[3].

---

١ ــ الشعراء: ٨٨ ــ ٨٩.
٢ ــ الحجر: ٢٩.
٣ ــ المؤمنون: ١٤.

وبعبارة أخرى القلب في الآثار الشرعية هو مايشمل العقل والنفس، أي مركز الإدراك والشعور والعاطفة؛ ولذلك نرى القرآن الكريم تارة يستخدم القلب في الأمور الإدراكية التي هي من وظيفة العقل، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1]، حيث قال المفسرون: لمن كان له عقل.

وتارة يطلق القلب على الأمور الوجدانية وعلى المشاعر والعواطف، كقوله تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾[2] أي من الخوف، والخوف هو من الأمور الوجدانية، أي من المشاعر.

أو قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾[3]، ومرة ثالثة يطلق القلب على الذات الإنسانية، كقوله تعالى: ﴿وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[4]، كما يرى السيد الطباطبائي.

فالقلب هو معنى يطلق على مركز الإدراك والشعور عند الإنسان[5] وليس المقصود بالقلب هو خصوص هذا العضو الصنوبري، وإن كان هناك تشابه بين القلب الذي تعنيه الآثار الإسلامية، وبين القلب العضوي. فعلى سبيل

---

١ ــ ق: ٣٧.

٢ ــ الأحزاب: ١٠.

٣ ــ آل عمران: ١٠٣.

٤ ــ البقرة: ٢٢٥.

٥ ــ الميزان (الطباطبائي) ٢: ٢٢٨, ومواهب الرحمن (السبزواري) ٤: ٤٨١.
الأمثل (مكارم الشيرازي) ١٧: ٤٧.

المثال كما أنّ هذا القلب يمتلك مركزاً حساساً في جسم الإنسان، وله أثر كبير على كل فعاليات الإنسان، كذلك القلب الذي تقصده الروايات فإن له مركزية خاصة في مسيرة الإنسان المعنوية والكمالية، ولهذا ورد في الروايات الشريفة أنّ منزلة القلب منزلة الإمام من الناس، وكما ورد عن رسول الله ﷺ: **«لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه...»**.

وهكذا نرى أنّ القلب المادي يموت في بعض الأحيان ويتوقف عن العمل، كذلك القلب المعنوي فإنّه قد يموت في بعض الأحيان نتيجة لبعض الأعمال، وبعض الذنوب كما ورد في الحديث الشريف: **«الذنب على الذنب يميت القلب»**.

وهكذا، كما أنّ هذا القلب يمرض، كذلك القلب المعنوي يمرض، يقول القرآن الكريم: **﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً﴾**[1]، وهكذا يوجد تشابه بين القلب المادي وبين هذا القلب المعنوي الذي نتحدث عنه.

والمهم، فالاية تقول: **﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ ۞ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾**[2]. فهي تريد أن تبين لنا أنّ المقياس عند الله تبارك وتعالى هو القلب ولا شيء غيره، كما يقول النبي ﷺ: **«إنّ الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»**، فقد يكون الإنسان لا يملأ العين في صورته

١ ــ البقرة: ١٠.

٢ ــ الشعراء: ٨٨ ــ ٨٩.

الظاهرية، ولا في لباسه وهندامه؛ ولكنّه كريم على الله تعالى تبارك وتعالى، كما ورد فيما أوحى الله لموسى عليه السلام: «**كن خلق الثياب جديد القلب**»[١].

فليس المهم عند الله تبارك وتعالى حسن الثياب وحسن الصورة، وإنّما المهم عنده نظافة القلب وطهارته.

نحن في الحياة الدنيا قد نجعل المقياس عندنا في العظمة الكرامة هو بعض الأسباب والمظاهر المادية التي من أهمها المال والبنون، كما يحدثنا القرآن الكريم حيث يقول صاحب الجنتين الكافر لصاحبه المؤمن: ﴿**أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً**﴾[٢]، ولذلك ترى الناس تحترم الانسان الذي يملك مالاً طائلاً احتراماً كثيراً، وتتجهم عن الإنسان الفقير ولو كان الفقير يملك كمالات لا يملكها الغني، فإذا دخل الغني لمجلس من المجالس ترى الناس تقوم له وتحتفي به احتفاءً بالغاً، وإذا دخل الفقير لا أحد يعير له اهتماماً، لا لشيء إلاّ لأنّ الغني يملك حفنة من الأوراق لا يملكها الفقير كما يقول الشاعر:

يمسي الفقير وكل شيء ضده ... والناس تغلق دونه أبـــوابها
وتراه ممقوتا وليس بمـــذنب ... ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب إذا رأت ذا بزة ... أصغت إليه وحركت أذنابها
وإذا رأت يوماً فقيراً عــارياً ... نبحت عليه وكشرت أنيابها

أو كما يقول شاعر آخر:

١ ــ ميزان الحكمة: ٣٦٢٧.

٢ ــ الكهف: ٣٤.

ذريني للغنى أسعى رأيت الناس شرهم الفقير
يباعده القريب وتزدريه حليلته وينهره الصغير

وكما ينقل عن الشيخ ميثم البحراني رحمه الله أنّه دعاه بعض الشخصيات للقدوم عليهم بعدما ذاع صيته في الآفاق، وانتشر علمه بين الناس، فكان يتعلل عليهم؛ ولكنهم ألحوا عليه بالمجيء إليهم، فوافق على ذلك، وبعد مدة دخل عليهم المجلس بهيئة رثة فسلم عليهم فرد عليه أحدهم السلام و لم يعبأ به أحد، فجلس في جانب من المجلس وهم يتحدثون في مسألة علمية عويصة و لم يهتدوا إلى حلها فتكلم الشيخ وراح يبين المسألة بأتمّ بيان، ويطرح البراهين باتقان، ولكنّهم نظروا إليه نظرة إزدراء، وقال له بعضهم مستهزءاً: أخالك طويلباً فتركهم ومضى، وفي اليوم الآتي دخل عليهم بهيئة حسنة وبثياب فاخرة فاحترموه واحتفوا به احتفاء بالغا خصوصا بعدما عرفوا أنّه الشيخ البحراني، وعندما بدأوا يتناقشون في المسألة طلبوا منه أن يبدي رأية فيها، فراح متعمداً يخبط فيها خبط عشواء وهم يبدون انبهارهم به وبآرائه.

ومن ثم عملوا له وليمة دسمة، فلما عمدوا إلى الأكل مدّ كمه إلى الزاد، وراح يقول له: كل يا كمي، كل يا كمي. فتعجبوا من فعله وسألوه كيف يفعل ذلك وهو شخصية محترمة؟ فقال لهم: إنّما عملتم هذه الوليسمة لثيابي، وليس من أجلي؛ لأنّني أنا صاحبكم الذي أتيتكم بالأمس بهيئة رثة وثياب خلقة فلم تعبأوا بي.

الشاهد أنّ هذه هي مقاييس الناس في الحياة الدنيا تهتم بالأموال والأولاد والمظاهر المادية، ولكن هذه المقاييس لا مجال لها في الحياة الأخرى وفي يوم

القيامة، كما تقول الآية الكريمة: ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونٌ...﴾، المال قد ينفع الإنسان في الدنيا، وقد يقضي له بعض الحوائج، ويحل له بعض المشاكل، ولكن يوم القيامة ليس له أي نفع، وهكذا الولد قد ينفع والده في الدنيا، لكن يوم القايمة ليس له أي نفع، تقول الآية الكريمة: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ✿ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ✿ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ✿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[1]، فكل إنسان يومئذٍ مشتغل بنفسه، وبالمصير الذي ينتظره. طبعاً المال والولد يمكن أن يكونا نافعين في الآخرة إذا جعله الإنسان من الباقيات الصالحات، وإذا جعله في سبيل الله تبارك وتعالى.

ولكن طبيعة المال بصورة عامة ليست بنافعة يوم القيامة، فالذي ينفع يوم القيامة هو القلب السليم: ﴿إلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾؛ ولذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**إذا أحبّ الله عَبداً رَزقه قلباً سليماً، وخلقاً قويماً**».

وعليه فإذا كان النافع فقط هو القلب السليم، فعلينا أن نتعرف عليه، ونسأل هذا السؤال: ماهو القلب السليم الذي ينجي صاحبه يوم القيامة؟

عندما نطالع الروايات الشريفة نجد أنّها تبين لنا معنى القلب السليم، وصفات القلب السليم، فهي:

الأولى: عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما سئل عن القلب السليم قال: «**دين بلا شك وهوى، وعمل بلا سمعة ورياء**».

---

١ ـ عبس: ٣٤ ـ ٣٧.

دين: يعني اعتقاد بدليل مقابلته بالعمل، فالقلب السليم هو القلب الخالي من الشك، أي هو القلب الذي ملأه اليقين بالله تبارك وتعالى؛ لأنّ الكثير من الناس يشككون في نفوسهم بالله تبارك وتعالى، ويقولن: من يقول بأنّ الله موجود ونحن لا نراه ولا نشاهده؟ ومن يقول بأنّه مطلع علينا ويراقبنا في كل صغيرة وكبيرة؟ لماذا لا نحس بذلك؟

وهكذا قد يشكك بالآخرة وبيوم القيامة وبالجنة والنار، ويحدث نفسه ويقول: ﴿**أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۞ أَوَآبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ**﴾[1]، وهكذا قد يشكك برسالة الرسولﷺ ويقول كما قال أبو سفيان عام الفتح عندما قال له النبيﷺ: «**أما آن لك أن تؤمن بالله؟**»، قال: لو كان لنا إلها غير الله لنفعنا يوم بدر! قالﷺ: «**أما آن لك أن تؤمن بأني رسول الله؟**» قال: أمّا هذه ففي النفس منها شيء.

أو كما يقول بعض المشككين بأنّ محمد بن عبد الله مجرد رجل عبقري، ومصلح اجتماعي.

وهكذا قد يشكك الإنسان بولاية الأئمة عليهم السلام خصوصاً مع حملات التشكيك التي تقودها أكثر من جهة هذا اليوم. فكل قلب تمكن الشك منه فهو قلب سقيم لاخير فيه ولا ينفع صاحبه يوم القيامة، وكل قلب غمره اليقيين بدينه وعقائده فهو قلب سليم ينفع الإنسان يوم لا ينفع مال ولا بنون.

---

١ ــ الصافات: ١٦ ــ ١٧.

وبعبارة أخرى القلب السليم هو القلب المطمئن بالإيمان: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[١]، طبعاً طرد الشك عن القلب والوصول إلى اليقين له سبل متعددة لا مجال لبيانها الآن، ولكن كل ما أقوله: هو أنّ على الإنسان أن يلجأ إلى ربه في ذلك؛ لأنّه هو مقلب القلوب والأبصار، ويسأله منه ويقول: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[٢]، خصوصاً في هذا الزمن الذي كثر فيه التشكيك، وكثر فيه المشككون.

فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في تفسيره للقلب السليم يرى بأنه القلب الخالي من الشك، وهكذا هو القلب الخالي من الهوى (دين بلا شك و هوى...)، والمقصود بالهوى: هو الميول النفسية الفاسدة التي تبعد الإنسان عن طريق الحق، فكل قلب ملأه الهوى بحيث إذا أراد أن يفكر فهو يفكر من خلال الهوى، فتكون أفكاره أفكاراً شيطانية هدامة، وإذا أحب وأبغض أحب وأبغض على أساس الهوى لا على أساس الهدى، هكذا قلب هو قلب سقيم لا قلب سليم، فمن أراد أن يجعل قلبه سليماً عليه أن ينقى قلبه من الأهواء الفاسدة، وحينذاك يستحق رحمة الله ورضوانه، وكما يقول القرآن الكريم: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[٣].

---

١ ـ الفجر: ٢٧ ـ ٢٨.

٢ ـ آل عمران: ٨.

٣ ـ النازعات: ٤٠ ـ ٤١.

ثم يقول: «**وعمل بلا سمعة و رياء**»، فالقلب السقيم هو الذي تكون أعماله جميعها صادرة من أجل الله تبارك وتعالى قربة إليه، وأن لا يقصد بعمله سوى الله تبارك وتعالى، وأما إذا عمل الإنسان من أجل السمعة والرياء، وصلى من أجل أن تحترمه الناس، ويقولون إنّه إنسان عابد، وتصدق وزكى من أجل أن يقولون: إنّه محسن كريم، هكذا قلب هو قلب سقيم؛ إذ من جملة أمراض القلب هو مرض الرياء، بل من أخطر أمراض القلب هو مرض الرياء، وهو مرض من الصعب التغلب عليه، وله أثار سلبية كثيرة، من أهمها الحرمان من رحمة الله، بل الحصول على عقابه، فالقلب المرائي لا ينفع صاحبه أبداً، ولذلك يأتي الإنسان يوم القيامة ـ كما في الروايات ـ يطلب ثواب أعماله التي عملها في حياته الدنيا، يقول: إلهي أنا صليت وصمت، وتصدقت وساعدت الفقراء وأطعمت وبنيت المساجد فأين ثواب عملي؟ فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب للذين عملت لهم فخذ أجرك منهم، أنت لم تعمل من أجلي وإنّما عملت من أجل فلان وفلان فاذهب للذين عملت لهم فليعطوك ثوابك، وتلك هي الخسارة العظمى، أن يعمل الإنسان في حياته الدنيا فيكون عمله يوم القيامة كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف. كما قال الصادق عليه السلام: «**إياك والرياء فإنّه من عمل لغير الله وَكَلَهُ الله إلى من عمل له**»[١]، وهكذا ورد في بعض الأخبار: «**أن الملك يصعد بعمل العبد مبتهجاً إلى السماء فيقول الله**

---

١ ـ ميزان الحكمة ٣: ١٠١٧.

تبارك وتعالى: اجعلوها في سجين ليس إياي أراد بها»، فإذا النبي صلى الله عليه وآله يقول: **«القلب السليم دين بلا شك وهوى، وعمل بلا سمعة ورياء»**.

الثانية: وهكذا لما نرجع إلى الرويات نرى أنّها تحدد لنا معنىً آخر للقلب السليم، فعن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير القلب السليم قال: **«هو القلب الذي سَلِمَ من حب الدنيا»**. فكل قلب طلق الدنيا كما طلقها أمير المؤمنين عليه السلام ثلاثاً لا رجعة فيها فهو قلب سليم، وكل قلب تشبع بحب الدنيا حتى صار عبداً من عبيدها فهو قلب سقيم.

طبعاً هذا ليس معناه أن يترك الإنسان الدنيا ويذهب إلى مغارة ويعيش فيها إلى أن يموت، فإنّه ورد عن أهل البيت عليهم السلام: **«ليس منا من ترك دنياه لدينه، أو ترك دينه لدنياه»**[1]، وإنما المقصود أنّ الإنسان لا يسيطر عليه حب الدنيا بحيث يجعلها كل همّه؛ لأنّ الدنيا وسيلة لا هدف، بل هي ممر للآخرة لا مقر.

وممّا لاشك فيه أنّ القلب سيطر عليه حب الدنيا قاده إلى كل سوء إلى أكل الحرام والسرقة أو القتل والخيانة وأمثال ذلك، كما ورد في الحديث الشريف: **«حب الدنيا رأس كل خطيئة»**، فالكثير من أمراض القلوب، والملكات السيئة كالحرص والطمع والحقد والعداء والبغضاء ناشيء من حب الناس للدنيا.

الثالثة: وهكذا نرى الإمام الصادق عليه السلام يذكر معنىً آخر للقلب السليم ــ وهذه كلها مصاديق له مكملة لبعضها ــ يقول: **«القلب السليم الذي يلقى ربه وليس فيه أحد سواه»**، وهذا هو أسلم القلوب، وأنقى القلوب، وأرقى

---

١ ــ ميزان الحكمة ٢: ٩١٤.

القلوب، بأن يكون كله لله تبارك وتعالى وليس فيه مكان لغيره؛ لأنّه ورد عن الصادقعليه السلام أيضاً: «**القلب حرم الله فلا تسكن حرم الله غير الله تبارك وتعالى**» فالعارفون بالله تبارك وتعالى كل ما في قلوبهم هو الله تعالى. والله عزوجل يمثل بالنسبة إليهم كل شيء كما يقول زين العابدينعليه السلام في مناجاة المريدين: «**يا نعيمي وجنتي، ويا دنياي وآخرتي**».

فليس في وجودهم وفي قلوبهم شيء آخر غير الله تبارك وتعالى كل ما فيها هو الله، وكما يقول الإمام الحسينعليه السلام في دعاء عرفة: «**أنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك، ولم يلجؤوا إلى غيرك**». وفعلاً الحسينعليه السلام كان يعيش هذه الحالة التي يتحدث عنها في دعائه، وتجلت خير تجلٍ في كربلاء، فالحسينعليه السلام كان كل ما في قلبه هو الله تبارك وتعالى؛ ولذلك قدم كل شيء من أجل محبوبه، وهو الله تبارك وتعالى، وكان كل همه هو رضا الله تبارك وتعالى، حتى قدم الطفل الرضيع الذي أمضّ به العطش فجاء به إلى الأعداء علّهم يرحموه بشربة من ماء، فسقوه لكن المنون لا الماء، وفي نحره لا في فمه. لك الله يا حسين وأنت تنظر طفلك مذبوحاً على ذراعك، يتلوى من حرارة الظمأ وحرارة السهم.

عله خد الطفل سالت دمعته　　　شيگل لعمتـــه شيعتـــذر لختـــه
جـــابه لعيلتـــه وسكنه اجته　　　تگله اسگيت اخوي الماي جاوين

* * *

رفع الحسين الغطاء عنه وإذا به ترى أخاها مذبوحا من الوريد إلى الوريد.

شال حسين عنـــه غطاه بيده　　　وشافت بالنحـــر تلظه الحديده

ومن فيض الدمه يگطر وريده　　عليه صبت دمعهه ولطمت العين

* * *

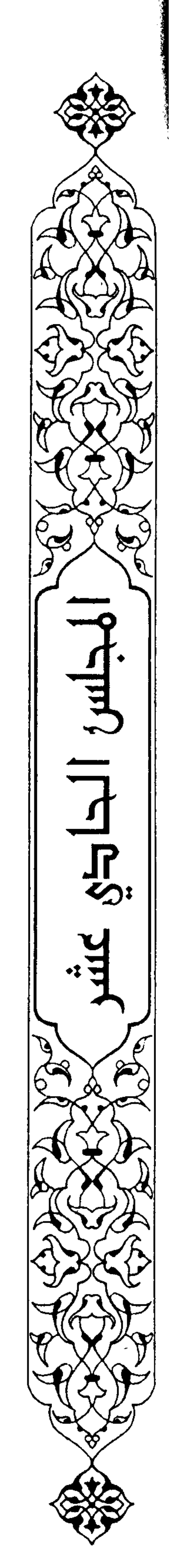
بچت والدمع منهه سال غدران　　تنوح عله الرضيع المات عطشان

صاحت صوت والتمت النسوان　　وعليه امه غدت تصفج الچفين

* * *

سقوه دماً من طعنة بوريده　　فخرَّ ذبيحاً لا وريد ولا نحرُ

* * *



ضوابط السلوك

المجلس الحادي عشر:

ظوابط السلوك

أسدف الليلُ واستطال الظلامُ وعيون في كربلا لا تنامُ
أحرقَ الدمعُ جفنَها فاستحالتْ ذاويات لها البكاءُ مرامُ
كيف يغفو الذيْ بجنبيهِ باتت موريات الشجا لهنَّ ازدحامُ
إنَّ هولَ الخطب الذي عاينته ليسَ تطفي لهيبَهُ الأيامُ
حرَّ قلبي لنسوةٍ حاسرات هاجها الخوفُ والأسى والضرام
نُبذتْ بالعراءِ من دونِ ظلٍّ ما حولها على الصعيدِ خيامُ
ساعدَ الله زينباً حينَ أمستْ يسكبُ الدمعَ عندَها الأيتامُ
فصبيٌّ يريدُ شربة ماء إذ باحشائه أمضَّ الأوامُ
ومن الجوع طفلة تتلوى فوق وجه الثرى وعزَّ الكرامُ
ونساءٌ تطارح النوحَ شجواً بُحَّ صوتٌ لها وغاضَ كلامُ
كلُ هذا جرى وأمُّ الرزايا للمصيباتِ في حشاها احتدامُ

تكتمُ الوجدَ والأسى في عناءٍ لكن الوجدُ ليسَ فيه انكتامُ*

* * *

امسه المسه بحسين وحدي متحيره وأيدي عله خدي
بس الاطفال تنوح عندي بحسين يومك مرد چبدي
ولا تنطفي نيران وجدي يا ضوه عيوني وبدر سعدي
لون البچه والنوح يجدي بالعين الك والروح لفدي

* * *

قال أبو عبد الله الحسين عليه السلام مخاطباً جيش الكوفة:

«**ياشيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم، وأرجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون**».

كلمات الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء مع أنها كانت قليلة العدد، إلاّ أنّها كانت عظيمة المضمون والمحتوى، فالكلمات التي أطلقها الحسين عليه السلام في ثورته كانت شعارات ومبادئ ضمنها مجموعة من القيم الحسينية الفريدة، وخاطب بها الأجيال جميعاً على مر الزمن. فكلمات الحسين عليه السلام كلمات خالدة وحية؛ لأنّ القيم التي تحملها قيم خالدة وحية. فعلينا أن نقف عليها، ونحلل مضامينها، والأهم من ذلك أن نجسدها ونسير على طبقها.

(*) القصيدة لصاحب الكتاب.

الإمام الحسين عليه السلام ركز في كلمته المتقدمة على مقومات السلوك، والعناصر التي تضمن إستقامة السلوك من الانحراف.

لكن قبل الدخول في بيانها لا بأس من الاشارة إلى قضية أشار إليها الحسين عليه السلام في بداية ندائه، وهي ملفتة للنظر، يقول الحسين عليه السلام مخاطباً جيش الكوفة: (ياشيعة آل أبي سفيان). وهناك نقطة حاول أن يؤكد عليها الكثير من أعداء الشيعة، ويشنعوا بها عليهم وهي أنّ الشيعة ـ أو الروافض كما يسمونهم ـ أهل غدر، والغدر من صفاتهم الثابتة، وقد غدروا بالإمام الحسين عليه السلام وكتبوا له الكتب، وأعطوه العهود والمواثيق، ثم نكثوا عهدهم وجيشوا الجيوس لقتاله. فقتلوه ضمآن إلى جانب الفرات.

وجوابنا عن ذلك هو أنّنا لابد أن نفرق بين قضيتين كثيراً ما يؤدي الخلط فيها إلى الوقوع في محاذير ونتائج خاطئة، وهاتان القضيتان هما:

الأولى: أنّ أكثر الشيعة في الكوفة ـ وليس أكثر الكوفة شيعة ـ فكان هناك في زمن الحسين عليه السلام تواجد شيعي في المدينة، والشام وغيرهما إلاّ أنّه وجود ضئيل.

والثانية: الثقل الشيعي الأكبر كان في الكوفة، وهناك عوامل متعددة لانتشار التشيع في الكوفة ليس هناك مجال لتفصيلها.

ولعلّ ما واجهته هذه المدينة من محن ومصائب كانت لأجل هذا الشيء، فهي تدفع ثمن ولائها لأهل البيت عليهم السلام؛ لكن هذا ليس معناه أنّ أكثرية الكوفة كانت متشيعة لأهل البيت عليهم السلام في زمان الحسين عليه السلام، بل الذي يقرأ

التركيبة السكانية للكوفة آنذاك يخرج بنتيجة قطعية بأن الكوفة لم تكن خالصة لأهل البيت عليهم السلام، بل الشيعة لايمثلون الثقل الأكبر فيها.

فالمجتمع الكوفي كان متعدداً ومتنوع التركيبة، فعلى المستوى القومي نجد هناك قوميات مختلفة تسكن الكوفة، فكان هناك العرب، والفرس، والروم، والآشوريون، وغيرهم.

والعرب أيضاً مختلفون في إنتماءاتهم القبيلة والعشائرية، فهناك العدنانيون والقحطانيون. وهكذا مختلفون في مناطقهم الجغرافية، ففيهم اليمنيون وفيهم الحجازيون وغير ذلك.

ومن الناحية الدينية نجد هذا التنوع حاكماً في الكوفة، فهناك المسلمون، وهناك اليهود الذين أجلاهم عمر من المدينة، وهناك النصارى ولهم طبقات مختلفة، منهم النساطرة، واليعاقبة، ولكل واحد منهم أسقف خاص، وكان فيها الصابئة والمجوس، وهكذا. وعلى المستوى المذهبي الإسلامي نجد هذا التنوع أيضاً، فهم مختلفون فكرياً وسياسياً ومذهبياً وحزبياً، فهناك الحزب العمري الذين كانوا يتعصبون لعمر بن الخطاب، وكانوا يصلون صلاة التراويح و لم يكن يمنعهم، أو لم يستطع أن يمنعهم أمير المؤمنين عليه السلام. وهناك الحزب الأموي وأتباعه وعملاؤه، وهناك الخوارج، وهناك الشيعة، وغيرهم.

فإذن المجتمع الكوفي كان ذا أطياف مختلفة فكرياً وعرقياً ودينياً. وكان خليطاً غير متجانس، ويرجع سبب ذلك إلى كونه مجتمعاً جديد التكوين، وتتوفر فيه فرص عمل كثيرة ممّا أدى إلى حدوث هجرة متزايدة إليها، وتكفينا شهادة لابن أبي الحديد المعتزلي التي ينقلها عن شيخه أبي جعفر يحيى بن أبي

زيد يقول: (إن أهل العراق كانوا يعتقدون إمامة الشيخين إلاّ القليل الشاذ من خواص الشيعة)[١].

أضف إلى ذلك أنّ الشيعة في ذلك الزمان يوجد قسم كثير منهم لم تتبلور لديهم فكرة التشيع والإمامة، بل كانوا يملكون عاطفة صادقة تجاه أهل البيت عليهم السلام، فإنّ مذهب التشيع في بداية إنطلاقته لم يكن بهذا المستوى من النضج والكمال، والشيعة لم يكونوا بمستوى اليوم من الوعي بأهل البيت عليهم السلام، وخير دليل على أنّ الذين قاتلوا الإمام الحسين عليه السلام لم يكونوا شيعته فإنّ الإمام عليه السلام حيث كان يخاطب الجيش الذي جاء لقتاله بالقول: «**ياشيعة آل أبي سفيان**»، والذين كتبوا للحسين عليه السلام من أعيان الشيعة لم يخذلوه بل إما إنّهم التحقوا به بكربلاء من أمثال حبيب بن مضاهر ومسلم بن عوسجة، وعابس بن شبيب الشاكري، وبرير بن خضير وغيرهم، وإما لم يستطيعوا الإلتحاق به، وإمّا أودعوا في غيابت السجن. فشيعة الحسين عليه السلام ليس هم الذين قتلوا الحسين عليه السلام، والذين كتبوا له ثم خانوه كانوا من غير الشيعة؛ ولهذا استنكر عليهم الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وخاطبهم بأسمائهم: «**ياشبث بن ربعي، وياحجار بن أبجر، وياقيس بن الأشعث، ويا زيد بن الحارث ألم تكتبوا إلي أن أقدم قد أينعت الثمار واخضر الجناب، وإنما تقدم على جند لك مجندة**» فقالوا: لم نفعل. فحجار وشبث وقيس وغيرهم لم يكونوا شيعة بل كانوا من الخوارج.

---

١ ــ شرح نهدج البلاغة بيان خطبة (إنّا صنائع ربنا).

نعم، نحن لا نريد أن ننفي وجود أي شخص متخاذل في صفوف الشيعة آنذاك لأنّهم ليسوا معصومين كلهم، بل هم كغيرهم يوجد فيهم من يخاف الموت، وفيهم من تغره الدنيا لكن هذا ليس معناه أن نعمم الحكم على الجميع.

المهم، أرجع إلى صلب الحديث: «**يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين...**». فإنّ الإمامعليه‌السلام كان يتحدث عن محددات وضوابط السلوك التي تفقد في شيعة آل أبي سفيان. فالإنسان مجموعة من الغرائز يحكمها العقل، وهذه الغرائز تميل إلى الانفلات والتحرر عن قيود الدين والأخلاق، غرائز الإنسان بطبعها تكره التقييد، فإذا فسح المجال أمامها وأطلق لها العنان سوف تحول الحياة إلى جحيم، مثلها مثل السيل إذا ترك لسبيل حاله سوف يدمر كل شيء أتى عليه بينما إذا نظم في قنوات وسدود سوف يتحول إلى مصدر خير يعمر الحياة، كذلك الغرائز، وكذلك لو تركت في سبيل حالها سوف تقلب المجتمع البشري إلى مجتمع حيواني، وإلى مجتمع الغاب؛ لأنّ الفرق بين المجتمع الحيواني والمجتمع الإنساني، هو أنّ الأول تسيره الغريزة ولا يخضع لضوابط أخلاقية معينة، بينما المجتمع الإنساني ينبغي أن يكون مجتمعاً متعالياً على غرائزه.

فما نشهد اليوم من مآسي في عالمنا الحاضر ناتج عن غياب العامل الأخلاقي في السلوك الإنساني العام، حيث أطلق الإنسان المعاصر العنان لغرائزة لتتصرف كيف تشاء من دون وازع ولا رادع تحت دعوى الحرية الفردية وما شاكل ذلك؛ لذا فهو ــ وللأسف الشديد ــ يسير نحو الهاوية من

حيث يشعر أو لا يشعر. إذن لابد من ضوابط تحدد حركة الإنسان بالاتجاه الصحيح.

الإمام الحسين عليه السلام أشار إلى مجموعة من هذه الضوابط، فأول شيء هو الدين وخوف المعاد، الذي كان غائباً عنَ حياة جيش الكوفة، فالدين له دور كبير في تعديل سلوك الإنسان، وتوجيهه بالمسار الصحيح، وهكذا خوف المعاد.

فالدين يربي الإنسان على فضائل الأخلاق، وعلى التعالي على الغرائز المادية، ويوجهه إلى الخير وأنّه لم يخلق في هذه الحياة لكي يأكل ويشرب ويعاشر النساء، تماماً كما تفعل الحيوانات، وإنّما خلقه لغاية سامية، من أجل أن يجد ويعمل ويكدح في سبيل الوصول إلى كماله الذي هو في القرب من الله والفوز برضاه وجنته، فالدنيا مزرعة الآخرة، وما الشهوات والغرائز التي أودعها فيه إلاّ ضرورات تعينه على الاستمرار في حياته، فهي وسيلة الحياة لاغاية الحياة.

ولذا عليه ألاّ يستغرق فيها كثيراً، ويهتم بما هو أهم منها، بما خلق من أجله وهو الآخرة. وما العبادات كالصلاة والصيام والحج والزكاة إلاّ تمارين لتقوية هذه الإرادة، وما هي إلاّ ترويض للغرائز، حيث نجد أنّ لكل واحدة منها أثراً كبيراً على سلوك الإنسان؛ فالصلاة تحارب غريزة التكبر عند الإنسان وتعوده على الخضوع، والصيام يعلم الإنسان كيف لايخضع لغريزة الجوع والعطش والجنس، والزكاة تروض غريزة حب الجمع عند الإنسان وهكذا دواليك.

فالدين بمجموعه يضبط سلوك الإنسان، وهكذا الخوف من المعاد الذي هو جزء من الدين أيضا لكن أفرده الإمام بالذكر لأهميته، أيضاً فهو يهذب سلوك الإنسان ويهذب غرائزه. فالدين وخوف المعاد يمنعا الإنسان من الانحراف، ومن ارتكاب الجريمة، يقول الامام علي عليه السلام: «**لئن أبيت على حسك السعدان مسهداً، أو أجر في الأغلال مصفداً، أحب إليّ من ألقى الله ظالماً لبعض العباد أو آكلاً لشيء من الحطام**».

هذا من خوف الدين والمعاد، فعندما نرجع إلى القرآن الكريم نجد صوراً أُخرى من هذا القبيل، نطالع مثلاً في قصة قابيل وهابيل، فإنّ هابيل لما أراد أخوه أن يقتله قال له: «**لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين**». إنّي يمنعني من ارتكاب الجريمة خوف الله عز وجل؛ ولهذا كان على الإنسان المؤمن الذي يخاف المعاد والآخرة سوف يكون مأمون الجانب، ويكون كما يقول الحديث الشريف: «**خيره مأمول وشره مأمون**». أي لا تخشى من الإنسان المتدين؛ لأنّه يعرض كل كلمة وكل حركة وكل عمل يريد أن يرتكبه على ميزان الدين فإن قبله ارتكبه، وإلاّ تركه حتى في أحرج الأوقات.

أمّا الضابط الثاني فهو ما أشار اليه بقوله: «**فكونوا أحراراً في دنياكم**»، والمراد بالحرية في لسان كثيرمن الروايات الشريفة هو انعتاق النفس من أسر الأهواء والأطماع والشهوات، وهذا هو المعنى الذي يريده الإسلام للحرية، وليس معنى ذلك أنّ الإسلام لا يعير إهتماماً للحريات العامة (الحريات

المدنية)؛ ولكنّه يرى أنّ الحرية الحقيقية هي الحرية الداخلية، حرية النفس من الأهواء.

فالآن الغرب يملك الحرية بأكبر صورها، إلاّ أنّه في الحقيقة يعيش العبودية، عبودية الذات، المال، الشهوة... وإلى آخره.

يقول السيد الشهيد الصدر رحمه الله: (إنّ الحرية في الحضارة الغربية تبدأ من التحرر لتنتهي إلى ألوان من العبودية والأغلال)، ولهذا فشلت أكبر حملة جندها الولايات المتحدة لحظر الخمر في إحدى السنين مما اضطرت إلى رفع الحظر بعد عدم استجابة الناس لها، ولا يمكن الآن للغرب أن يلغوا الخمر من حياقم لأنّهم فقدوا إرادقم تجاه شهواقم وميولهم، بينما استطاع الإسلام أن يمحوا الخمر من وجود الناس في فترة زمنية قصيرة؛ وذلك لأنّه حرر الإنسان من أسر الشهوات.

فالشهوات والغرائز والأهواء تدعو النفس للعبودية؛ لهذا يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**العبيد ثلاثة: عبد رق، وعبد شهوة، وعبد الطمع**»[1]، ولهذا حذرنا أن تسترقنا شهواتنا قال: «**من ترك الشهوات كان حراً**»، وقال: «**لايسترقنك الطمع وقد جعلك الله حراً**»، فحرية النفس تنفي عن الإنسان كل أنواع الذل والطمع والجبن وكل الملكات والسلوكيات السلبية.

إذن النفس الحرة الكريمة تمنع الإنسان من الانحطاط والتسافل وجميع الدناءات؛ ولهذا لما كان أصحاب الحسين عليه السلام أحراراً، رأينا منهم تلك

---

١ ــ تنبيه الخواطر ١: ٤٩.

المواقف الشريفة التي خلدها التأريخ الإنساني، فعندما نرى الحر الرياحي رحمه الله ماذا قال له الحسين عليه السلام عندما صرع: «**أنت حر كما سمتك أمك حر في الدنيا وسعيد في الأخرة**»، لماذا قال الحسين عليه السلام أنت حر؟ لأنّه تحرر عن حبِّ الدنيا وما فيها من مال وجاه ومنصب.

فهناك حبال كثيرة تشد الحر رحمه الله على حب الدنيا دون غيره، وكان الحر قائداً كبيراً من قادة الأمويين، وكان ينتظر المال والجاه والمنصب، فلو شارك في قتل الحسين عليه السلام؛ ولكنّه قطع هذه الحبال وتحرر من أسرها والتحق بالحسين عليه السلام.

ونجد زهير بن القين رحمه الله تحرر من أسر الهوى، فقد كان عثماني الهوى والتحق بالحسين عليه السلام، وكذلك جون رحمه الله تحرر من كل شيء من حب السلامة ومن الخوف، ومن حب الدنيا، والتحق بالحسين عليه السلام، وهكذا سيد الشهداء أبو الأحرار الحسين عليه السلام، فقد قال للقوم: «**والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أفر فرار العبيد**». لأنّه كان حراً.

الحسين عليه السلام يخاطب الجيش الأموي: «**إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم**»؛ فكونوا أحراراً لا يستعبدكم عبيد الله ويزيد، وعمر بن سعد: «**لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً**»، لماذا يستعبدكم الأخرون والله خلقكم أحراراً؟!

يروى أنّ يزيد بن معاوية استدعى رجلاً من قريش، وقال له: أتقر بأنّك عبد لي إن شئت بعتك وإن شئت استرقيتك ــ لأنّ يزيد أخذ البيعة من أهل المدينة على أنّهم عبيد له بعد واقعة الحرة ــ قال له: ليس أبوك أفضل من أبي

في جاهلية ولا إسلام ولست أفضل مني في دين، فكيف أقر لك بما طلبت؟ قال: إن لم تقر لي بما سألتك سوف أقتلك. قال: ليس تلك إياي بأعظم من قتل الحسين بن علي عليه السلام فأمر به فقتل.

الحسين عليه السلام يقول لهم كونوا أحراراً في دنياكم؛ لكنّهم كانوا عبيداً لدنياهم كما وصفهم في حديث آخر: «**الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم**...»، فيلتقي الحسين عليه السلام بعمر بن سعد قبل القتال ويدعوه إلى نصرته، وترك عبيد بن زياد، فيجيبه أخاف على ضيعتي أن تؤخذ ـ لاحظ العبودية ـ قال: إنّ عندي ضيعة في المدينة أعطيها لك. قال: أخاف على داري تهدم. قال: أنا أبنيها لك. قال: أخاف على أهلي في الكوفة. عند ذلك أدرك الحسين عليه السلام أنّ هذا الرجل قد سيطرت عليه عبودية الدينا فتركه لشأنه.

ثم يقول عليه السلام: «**وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عُرباً كَما تزعمزن**»، وهذا هو الضابط الثالث الذي يذكره الإمام الحسين عليه السلام حسب الإنسان ونسبه، فهو أيضاً يعدّل السلوك، فنجد كثير من الناس لا يرتكب فاحشة أو جريمة أو دناءة لا لأجل أنّه متدين، بل الحفاظ على سمعة أهله وأسرته وعشيرته، حتى لا يكون نقطة سوء في تأريخهم، وحتى لا يخرج على سيرتهم الحسنة.

الإمام الحسين عليه السلام يقول لهم: دعونا عن الدين والمعاد وكرم النفس ارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عُرباً، فانظروا هل كانت العرب من شيمتهم أن يعتدوا على النساء والأطفال؟! لأنّ الحسين عليه السلام وجه هذا النداء من بعدما هجم القوم على عياله، وهل كانت لا تعتدي على المرأة؟ بل كانت تعتبر اليد

التي تمد إلى إمرأة يداً جبانة ولئيمة، يقول أمير المؤمنينعليه السلام: «**إن الرجل ليضرب المرأة بالفهر والهراوة فيعير بها هو وعقبه**».

العرب كانوا يعتبرون اليد التي تمد إلى المرأة الضعيفة يداً جبانة، وتحكي عن جبن صاحبها ولؤم أصله، يقول الشاعر:

من العار مدُّ الكف ظلماً لحرة — وإن عظمت منها الجناية والذنب
ومن يك يوماً للضعيفة ضارباً — ففي أصله لؤمٌ وفي خُلْقه خَبُّ
وإنّ نفوس الأكرمين حليمة — وعن قتل ذات الخدر أسيافهم تنبو
وذا خلق يطرى به من يحـــوزه — وقد عرفت في العالمين به العربُ

ولهذا ينقلون أنّه لما قتل مصعب بن الزبير المختار الثقفي، أمسك زوجاته وكان لديه ثلاث زوجات، فعرضوا عليهن البراءة من المختار، وهددهن بالقتل فاستجابت واحدة منهن ورفضت اثنتان، وهما بنت النعمان بن بشير، وبنت سمرة بن جندب. وقالتا: كيف نبرأ من رجل يقول ربي الله؛ صائماً نهاره وقائماً ليله؟! وعندما هددهما بالقتل تراجعت بنت سمرة بن جندب، وبقيت بنت النعمان مصرة على موقفها، وقالت: شهادة أرزقها في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها. أنّها موتة من وراءها الجنة. والله لا أفضل على ولايتي لعلي بن أبي طالب شيئاً، اللهم أشهد أني متبعة لنبيك، وابن نبيك، وأهل بيته وشيعته، ثم ترحمت على زوجها المختار، فقتلها مصعب بن الزبير وكانت أول إمرأة قتلت صبراً. فقال عمر بن أبي ربيعة في رثائها:

إنّ من أعجب الأعاجيب عندي — قتل بيضاء حرة عطبول
قتلوها بغير جرم أتته — إنّ لله درّها من قيتل

كتب القتل و القتال علينا   وعلى الغانيات جرُّ الذيول[1]

فأحساب العرب كانت تأبى للإنسان العربي أن يمد يده للنساء، ولكنّنا نرى الجيش الذي قاتل الحسينعليه السلام لم يكن يملك هذه الشيمة العربية حيث امتدت أيديهم إلى مخدرات الرسالة وعقائل الوحي فسلبوا ملاحفهنّ وحليهنّ، وامتدت أيديهم إليهنّ فضربوهنّ بأطراف الرماح وساقوهنّ سوق الإماء. ثم لم يكتفوا بذلك حتى أحرقوا الخيام عليهن، وحتى جَنَّ عليهنّ الليل وليس من خيمة تؤيهن، بات عيال الحسينعليه السلام تلك الليلة العظيمة في العراء، جائعين، ظامئين خائفين، ليس هناك من يهدّئ روعتهم، و يؤمن خوفهم، أو يدفع عنهم الأذى.

كأني بزينب أم المصائب تلتفت نحو الغري مناشدة أباها أمير المؤمنينعليه السلام:

خيّم علينه الليل والخيمه أحرگوها   وبناتك ابين البراري شردوهه
خيّم علينه الليل واهل البيت غياب   كلهم ضحايا مطرحين بحر التراب
وآنه نخيتك تنتهض يا داحي الباب   والتنولي تتنخه يا حيدر ببوهه
يا مطعم المسچين يا كافل الأيتام   ياللي عله المظلوم عينك أبد متنام
صرنه يتامه ولالنه والد ولا اعمام   وخيامنه العدوان كلهه فرهدوهه
اشلون يابويه صبرت لمن شفتنه   ابليلة الحادي عشر علرمل بتنه
ما عفت گبرك يالولي وجيت وشفتنه   وشفت العزيزه بعد فگد الدللوهه
گلهه بلسان الحال يابويه زرتكم   وبطول ذيج الليله سهران حرستكم
انفطر گلبي يوم علغبره شفتكم   يساره يبعد اهلي واديكم گيدوهه

---

١ ـ تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٦٤.

يناعي حيل صيح بصوت وليان   يحيدر يا مطوع الانس والياني
تره زينب بگت من غير وليان   تحشم وينكم يهل الحميه
قم يا علي فما هذا القعود وما   عهدي تغض على الأقذاء أجفانا

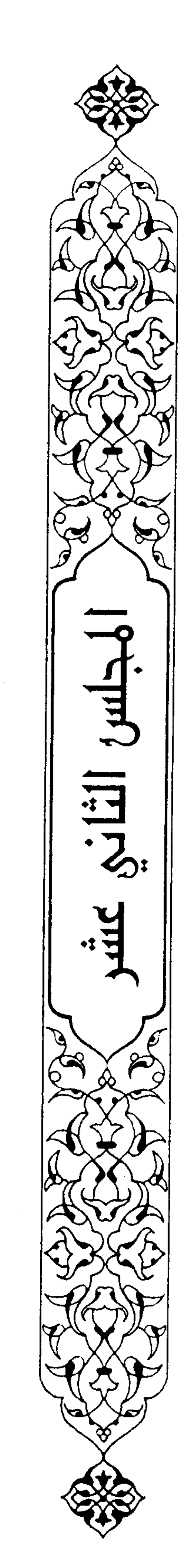
* * *

يناعي حيل صيح بصوت وليان   يحيدر يا مطوع الانس والياني
تره زينب بگت من غير وليان   تحشم وينكم يهل الحميه

* * *

قم يا علي فما هذا القعود وما   عهدي تغض على الأقذاء أجفانا

* * *



الخلود وحب الملك

المجلس الثاني عشر:

الخلود وحب الملك

إن كان عندك عبرة تجريها فانزل بأرض الطف كي نسقيها
فعسى .نبل بها مضاجع صفوةٍ ما بلّت الأكبادُ من جاريها
ولقد مررتُ على منازل صفوةٍ ثقل النبوة كان ألقي فيها
فبكيت حتى خلتها ستجيبني ببكائها حزناً على أهليها
وذكرت إذ وقفت عقيلة حيدر مذهولة تصغي لصوت أخيها
بأبي التي ورثت مصائب أُمها فغدت تقابلها بصبر أبيها
لم أنس إذ هتكوا حماها فانثنت تشكو لواعجها إلى حاميها
هذي نساؤك من يكون إذا سرت في الأسر سائقها ومن حاديها
أيسوقها زجر بضرب متونها والشمر يحدوها بسب أبيها
عجباً لها بالأمس انت تصونها واليوم آل أمية تبديها
حسرى وعز عليك أن لم يتركوا لك من ثيابك ساتراً يكفيها*

(*) القصيدة لشاعر أهل البيت عليهم السلام السيد رضا الهندي رحمه الله.

بگيت امحيره واصفج باليدين لا عباس يبرالي ولا حسين
يضربوني من همل العين وتبگه حسرتي بگلب اتّكسر

* * *

يروح الزهره يا هيبه يسرهه شخصك چان للحره يسرهه
اختك صاحت بحالة يسرهه يخويه الحگ خدرنه انگشع فيّه

* * *

قال الله تعالى:

﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى﴾[١].

تتحدث الآية الكريمة عن قصة آدم مع الشيطان، وقد تناول القرآن الكريم هذه القصة كثيراً ومن وجوه وزوايا متعددة، وأراد منّا أن نتعظ بها ونأخذ منها الدروس والعبر؛ لأنّ قصة الشيطان لم تنته بعدُ، وإنّما هي قصة متكررة ومستمرة مع الزمن.

وهذه الآية تتحدث عن آدم عليه السلام عندما دخل الجنة مع زوجته، وجاء إليه الشيطان الذي ظل مستاءً جداً من آدم عليه السلام وظلت جذوة الحسد تعتمل في نفسه حين رآى نفسه مطروداً ملعوناً من قبل الله تبارك وتعالى، ومبغوضاً من قبل الملائكة، وقد كان وجيهاً فيهم ومقرباً لديهم، ويرى آدم محترماً من الجميع ويتنعم في نعيم الجنة فخطط لإخراجه من نعيم الجنة إلى شقاء الأرض،

---

١ ـ طه: ١٢٠.

فراح يوسوس له ويغريه بالأكل من تلك الشجرة التي نهاه الله عنها، وراح يقسم له بأنّه ناصح له ويريد مصلحته، وأن الله تبارك وتعالى إنّما نهاه عن تلك الشجرة لئلا يكون من الخالدين، وراح يقول له: إذا أردت أن تكون خالداً مدى الدهرفعليك أن تأكل من هذه الشجرة وراح يحلف له على ذلك فصدقه آدم لأنّه كان يتصور أنّه لا يوجد أحد يحلف بالله كاذباً، وأكل من تلك الشجرة فأخرج من تلك الجنة وفقد ما كان فيه من نعيم.

وبطبيعة الحال لم يكن آدم مذنباً ذنباً شرعياً، ولم يرتكب ما يخالف العصمة، بل إنّ ما ارتكبه كان تركاً للأولى كما يقولون، أو إنّ النهي كان إرشادياً لا مولوياً وغير ذلك من التأويلات التي علينا أن نلتزم بها؛ لأنّنا نقول بعصمة الأنبياء جميعاً، وإنّهم لا تجوز عليهم المعصية، وكل ما ورد في القرآن الكريم ممّا يوهم ذلك فعلينا أن نؤوله بما يتناسب مع جو الآية الكريمة. والمهم هو أننا ماذا نستفيد من هذه القصة، ومن هذه الآية الكريمة؟

إنّنا نستوحي من الاية الكريمة أنّ من المنافذ المهمة التي ينفذ منها الشيطان لابن آدم، ومن النقاط الحساسة التي يعمل عليها الشيطان في إغواء ابن آدم أمران: (حب الخلد) و (حب الملك).

فهما من أهم الغرائز المزروعة في فطرة الإنسان، فكل إنسان يحب الخلد، ويعشق الخلد مهما كان صنفه ومستواه،كما يقول الشاعر أبو العتاهية:

الظن يخطئ تارة ويصيب وجميع ما هو كائن فقريب
تصبو النفوس إلى البقاء وطوله إن البقاء إلى النفوس حبيب

ولهذا ترى الإنسان حتى ولو عاش أعظم أسباب السعادة و الرفاه الدنيوية، من قصور فارهة، وسيارات فخمة، وحدائق وبساتين، وخدم وحشم، وأموال ونساء وبنين، فإنّه سوف لن يشعر بالسعادة التامة مادام على يقين أنّه سوف يرحل عن هذه القصور والأموال والأولاد والنساء، ويأتي عليه يوم يموت فيه ويذر كل ذلك، ويرحل ولا يأخذ معه غير كفنه؛ ولهذا فالموت حقاً هو هادم اللذات: «**اذكروا هادم اللذات**»، يقول الشاعر:

إذا الموت خلف المرء يسعى فكلما يلذ له يمسي مريراً منكّدا
وكل سرور لا يطيب لراغبٍ إذا لم يكن طول الزمان مخلدا

والحقيقة أنّ لحظة من لحظات الموت تساوي كل سرور الدنيا، كما يقول أبو العلاء المعري:

تعب كلها الحياة فما أعجب ألا من راغبٍ في إزدياد
إنّ حزناً في ساعة الموت أضعاف سرور عند ساعة الميلاد

ولهذا نجد فيما يحدثنا القرآن عنه من قصة زوجة فرعون (آسية بنت مزاحم) أنّها وإن كانت تعيش في جنة أرضية، في قصور فرعون الفارهة التي لها فيها ما تلذ الأعين وما تشتهي الأنفس، إلاّ أنّها كانت تحس بالوحشة، وبغربة الذات، كانت تتطلع للخلود؛ لأنّ قصور فرعون سوف تتهاوى في الزمن، وسوف ترحل عنها عاجلاً أم آجلاً؛ لهذا تركت كل نعيم فرعون وقالت: ﴿**رَبِّ ابْنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ**﴾[1] بيتاً كيفما كان فليس مهماً، المهم

١ ـ التحريم: ١١.

هو أنّه عندك في الجنة حيث الخلود، والحياة التي لا موت بعدها. وفعلاً حقق الله لها ما أرادت.

وأيضاً ينقل عن النعمان بن المنذر أنّه اطلع في يوم على دار ملكه بين النجف والكوفة وكانت منطقة جميلة جداً، وراح ينظر إلى الخضرة والورود وإلى قصره المنيف، فقال لوزيره: ما بعد هذا؟ قال: الموت. قال: تعساً لحياة يكون آخرها الموت فنزع تاجه وهام على وجهه كما يقولون، وفيه يقول الشاعر عدي بن زيد:

وتذكر رب الخورنق إذ أشرف يوماً وللهدى تفكير
سره حاله وكثرة ما يملك والبحر معرض والسدير
فارعوى قلبه وقال فما غبطة حيٍّ إلى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والأمة وارتهم هناك القبور
ثم أضحوا كأنهم ورق جفَّ فألوت به الصبا والدبور

فالإنسان يتطلع للخلود، وحتى الإنسان الشجاع الذي يلقي بحياته في الخطر، وفي لهوات الموت فإنّه ينشد الخلود في الجنة إذا كان قوي الإيمان، راسخ اليقين، وفي سجل الأبطال؛ إذ لم يكن كذلك، يقول المتنبي:

أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه حريصاً عليها مستهاماً بها صبّا
فحب الجبان النفس أورده البقا وحب الشجاع النفس أورده الحربا

إذن الشيطان الرجيم يستغل هذه الغريزة، وهذا الدافع عند الإنسان ويحاول أن يدفعه من خلاله إلى المنكر والظلم والطغيان، فترى الملوك والقياصرة

والجبارين، تخادعهم نفسهم للخلود، فتراهم يبنون القصور الضخمة، ويفتحون البلاد، ويزهقون النفوس في سبيل أن يضلوا خالدين، متصورين جهلاً أنّ في ذلك خلودهم.

فكم من قصر شيّد على جماجم الأبرياء، فقد كان المنصور الدوانيقي، يبني الإسطوانات على الثائرين العلويين وهم أحياء كل ذلك لأجل الخلود، يقول تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ۞ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾[١].

لكن طبعاً هذا مجرد خداع من النفس أو الشيطان؛ لأن الإنسان لا يخلد بقصوره وجنوده وحشوده، فأين كسرى؟ وأين قيصر؟ وأين قصورهم التي شيدوها؟ وأين معاوية وأين بنو العباس؟ كلّهم ماتوا ومات ذكرهم.

يقول سلمان الفارسي رحمه الله كنت مع حذيفة بن اليمان قرب إيوان كسرى وإلى جنبنا راعٍ من بني غامد يرعى شويهات له، وفي المساء يأتي بها إلى دخل الإيوان فربما صعدت بعض شويهاته على عرش كسرى. فأعجب ما رأيت في الدهر صعود شويهات الغامدي على عرش كسرى.

إن ذاك القصر الذي ضم جمشيد وفيه تناول الأقداحا
وضعت ضبية الفلا خشفها فيه وأمسى إلى ابن آوى مراحا

الخلود ليس بالمال أو القصور أو الجنود والأتباع، ولكن الخلود بالسجايا الحسنة، وبالعلم الغزير، وبالمواقف المبدئية. الخلود باتباع الحق والذوبان فيه، لأنّ القرآن يقول: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي

١ ــ الشعراء: ١٢٨ ــ ١٢٩.

الأَرْضِ﴾[1]، الباطل زبد على رغم زبرجه وزخارفه وانتفاخه، فيذب ذهاب أمس الذاهب، ويبقى الحق، والخلق الرفيع و المبدأ والموقف. كم شخصية خلّدها التأريخ كانت تفترش الأرض وتلتحف السماء؟ وكم اسم أُلقي في مزبلة التأريخ كان يبات وبطنه مليئة بأنواع الطعام، على أسرّة الحرير والديباج، وبين جدران مزركشة بالذهب والفضة والأحجار الكريمة؟ ولله در الشاعر إذ يقول:

رأيت الغنى فكراً يعيش وغيره وإن ملأ الآفاق من ذهب فقر
فما مات عيسى وهو يفترش الثرى ولا عـــاش قارون وأبوابه تبر
تهاوى رماداً ألف صرح ممرد وعاش على البردي في ألـــق صبر

لهذا عاش الحسين عليه السلام وخلّد في ضمائر الناس، ذلك الجسد الذي بقي عارياً على الرمضاء، ولعل السباع تاكله ولا تبقي له أثراً في تلك الصحراء المقفرة، ترى الآن قبره ومزاره شامخاً، يحج له الآلاف، ويطوفون به ويقبلون ضريحه المبارك. هذا هو الخلود لا خلود الظالمين.

لكن الشيطان يزين لهم ذلك ويصور لهم أنّهم يخلدون عندما يشيدون قصورهم على جماجم الأبرياء ليغويهم، ويدخل إليهم من هذه الثغرة: **﴿هَلْ أدُلُكُم عَلى شَجَرَةِ الخُلْدِ﴾**[2].

---

١ ــ الرعد: ١٧.

٢ ــ طه: ١٢٠.

ثم يقول: ﴿وَمُلْكٌ لاَ يَبْلَى﴾، وهذا هو المنفذ الثاني الذي ينفذ من خلاله الشيطان إلى ابن آدم فيضله ويغويه، فإنّ حبَّ الملك غريزة مزروعة في الإنسان (يا حبذا الامارة ولو على الحجارة). وكما يقول الرشيد: (هيهات إنّ الملك عقيم).

توجد رواية تروى عن المأمون العباسي، يقول: حججت مع الرشيد فلما صار إلى المدينة تقدم إلى حجابه وقال: لا يدخلن عليّ رجل من أهل المدينة ومكة من أبناء المهاجرين والأنصار إلاّ نسب نفسه، فكان الرجل إذا أراد أن يدخل يقول: أنا فلان بن فلان، فيصله الرشيد بخمسة آلاف وما دونها إلى مائتي دينار على قدر شرفه، وهجرة آبائه، فبينما أنا ذات يوم واقف؛ إذ دخل الفضل بن الربيع فقال: يا أمير المؤمنين على الباب رجل يزعم أنّه موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. فأقبل علينا ونحن قيام على رأسه، وقال: احفظوا أنفسكم.

ثم قال لحجابه ائذنوا له ولا ينزل إلاّ على بساطي، فبينا أنا كذلك؛ إذ دخل شيخ قد أنهكته العبادة، قد كلم السجود وجه وأنفه، فلما رأى الرشيد رمى بنفسه عن حمار كان يركبه، فصاح الرشيد لا والله إلاّ على بساطي، فمنعه الحجاب من الترجل، ونظرنا إليه جميعاً بالإجلال والإعظام، فما زال يسير على حماره حتى وصل الى البساط فنزل وقام إليه الرشيد واستقبله إلى آخر البساط، وقبل وجهه ورأسه، وأخذ بيده حتى أجلسه معه في صدر المجلس، وجعل يحدثه ويقبل عليه ويسأله عن أحواله. ولما قام قام الرشيد لقيامه وودعه، ثم أقبل علي وعلى الأمين والمؤتمن، وقال: ياعبد الله ويا محمد ويا

إبراهيم سيروا بين يدي عمكم وسيدكم وخذوا بركابه وسووا عليه ثيابه، فاستغرب المأمون من أبيه هذا الصنيع وسأله عنه، فقال له: يا بني إنّه صاحب الحق وحجة الله على العباد. فقال له المامون: إذا كنت تعلم ذلك فرد عليه حقه. فقال: إنّ الملك عقيم، والله لو نازعتني فيه لأخذت الذي فيه عينيك[1].

فحب الملك من المداخل التي يدخل فيها الشيطان على الانسان ويغويه حتى يريق الدم الحرام ويأكل المال الحرام.

يروى عن عبد الملك بن مروان أنّه كان يقول: كنت أتحرج أن أطأ الجندب (الجرادة)، واليوم يكتب لي الحجاج أنّه يخوض في الدماء فلا أُبالي. وتدخل عليه أم الدرداء فتقول له: لقد بلغني أنّك تشرب الطلى؟ قال لها: والدماء شربتها.

وهكذا ترى حرب الأُمويين والعباسيين لأهل البيت عليهم السلام كان ذلك من أجل الملك، وإن كانوا يعرفون جيداً أنّهم على الحق، وأنّهم حجة الله على العباد. ففي يوم من الأيام التقى مروان بن الحكم ــ عندما كان والياً على المدينة ــ بالإمام زين العابدين عليه السلام فقال له: ما كان في القوم أدفع ــ أكثر دفاعاً ــ عن صاحبنا عثمان من صاحبكم علي عليه السلام. فقال زين العابدين عليه السلام: «**فما بكم تسبونه على المنابر؟**»، قال له: إنّه لا يستقيم لنا الأمر إلاّ بذلك.

١ ــ راجع سيرة الائمة للحسني، ومنتهى الآمال للقمي.

فهم يعرفون جيداً أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن قاتلاً ولا محرّضاً على قتل عثمان بن عفان، لكنّهم استخدموا قميص عثمان كغطاء يعملون من خلاله لطلب الملك. وحتى الذين اشتركوا في معركة الجمل كانوا من الذين اشتركوا في قتل عثمان بصورة أو بأخرى، فعائشة كانت تحرض المسلمين على عثمان وتقول: (اقتلوا نعثلاً فقد كفر)، وطلحه كان من الذين اشتركوا في قتله، ولذلك يروى أنّ مروان استغل ظروف المعركة ورماه بسهم فقتله، وهكذا معاوية تخاذل عن نصره عندما استنجد به.

فبنو أُمية كانوا ينظرون إلى الخلافة على أنّها ملك ينبغي أن يستولوا عليه، لا أنّها قضية إسلامية، بل كانوا ينظرون إلى الإسلام أساساً على أنّه مُلك، وللنبي صلى الله عليه وآله وسلم على أنّه مَلِك أراد أن يسيطر على الناس من خلال ادعاء النبوة، فهكذا كانوا ينظرون إلى المسالة. فأبو سفيان عندما قال له النبي صلى الله عليه وآله: «**أما آن لك أن تؤمن بالله؟**» قال: لو كان لنا إله غير الله لنفعنا يوم بدر؟ قال صلى الله عليه وآله: «**أما آن لك أن تؤمن بأني رسول الله؟**» قال: أمّا هذه ففي النفس منها شيء.

ولما جاء به العباس (سلام الله عليه) وأوقفه على كتائب الفتح بين الجبلين، قال له: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً؟! فقال له: ويحك، ما هو الملك وإنّما هي النبوة.

وهكذا يزيد إنّما ارتكب تلك الجريمة البشعة وقتل الحسين عليه السلام من أجل الملك، وحتى عمر بن سعد كان الدافع الأساس لقتاله للحسين عليه السلام هو الملك (ملك الري)، كما أشار هو إلى ذلك بشعره المروي عنه:

فوالله لا أدري وإنّي لحائر أفكر في أمري على خطرين
أأترك ملك الري والري منيتي أم أرجع مأثوماً بقتل حسين

وهكذا زيَّن لهم الشيطان حب الملك حتى ارتكبوا أقبح الجرائم والموبقات، وأرقوا الدماء الزاكيات، ولم يكتفوا بذلك حتى أركبوا مخدرات الرسالة على العجاف الظالعات، لله صبر العقيلة زينب كيف أطاقت أن ترحل من كربلاء مع الأعداء، وخلفت أهلها على الرمضاء، كأني بها تخاطب أخاها بلسان الحال:

يحسين ترضه امشي يسيره ابين اُميه مسبيه واتستر يبو سكينه بديه

* * *

يحسين يا هو اللي يباري الظعن لو شال ويا هو اليرچب الحرم يا خويه والاطفال
ترضه ترچبنه الأجانب فوگ الهزال واحنه بنات المصطفه سيد البريه

* * *

تدرينه مضروب المثل بينه بالحجاب وعله الخدر والعز ربينه يبن الاطياب
اشلون نگطع هلفيافي ويه الاجناب تصعب وحگ عيناك هالسفره عليه

* * *

خويه الطريج ابعيد والناگه هزيله لاهوه يوم وينگظي ولا هيه ليله
وآنه ضعيفة حال يا خويه ونحيله ما ظل بعد يومك يخويه حيل بيه

* * *

يا نور اليضوّي البيت يسراي حزنك بالگلب للحشر يسراي

ماظنتي يهون عليك يسراي ومشيت مجتفه بين آل اميه

* * *

فدعت والجفون قرحى وفي القلب لهيب من الأسى ذو اتـقادِ
أحم الضائعات بعدك ضعنا في يد النائبات حسرى بوادي

* * *



الهبات الإلهية للمؤمنين

المجلس الثالث عشر:

الهبات الإلهية للمؤمنين

أيُّ رزءٍ أنابنا فشجانا ... أظلمت من قتامه دنيانا
أيُّ رزءٍ دهى النبيين طراً ... هدَّ للدين والهدى أركانا
هو رزءُ الحسين مذ بات شِلواً ... مستباحاً مقطعاً عُريانا
لم يذق بارداً من الماء حتّى ... مات والماء وافر عطشانا
لم يجد من حرارة الشمس ظلاً ... ما رأى بعد قتله أكفانا
أوطأوا الخيل صدره في عناد ... أودعوا السهم قلبه والسنانا
وزعوا جسمه ويا لهفَ نفسي ... قطعوا منه راسه والبنانا

* * *

واعظم كل مصايبهم الصارت ... يوم عله ابو اليمه الخيل دارت
وعله جثته بعد جتله تبارت ... ترض اظلوع ابن سيد المحشر

* * *

توزع علشره من داسته الخيل ... وظل مرمي ثلاث بغير تغسيل

ولا واحد حضر ولجثته يشيل ويواري باللحد جسمه المطهر*

* * *

روي عن أبي جعفر الباقرعليه السلام:

«إن الله عزَّ وجلَّ أعطى المؤمن ثلاث خصال: العزة في الدنيا، والفلح في الآخرة، والمهابة في صدور الظالمين».

يذكر لنا الإمام الباقرعليه السلام ثلاث هبات من الله تبارك وتعالى للمؤمن وهي هبات عظيمة لا تعادلها الدنيا وما فيها.

الأولى: العزة في الحياة الدنيا. والعزة مأخوذة من الصلابة، يقال: (أرض عزاز أي صلبة متماسكة، ليست برخوة)، ثم توسع في معناه فأخذ يطلق على كل من يَقهر ولا يُقهر، ويَغلب ولا يُغلب، وعلى الأنفة والحمية.

فالإنسان إذا لم يخضع للضغوط الخارجية وكذلك الداخلية المتمثلة بالميول والشهوات يسمى عزيزاً. فالله تبارك وتعالى جعل المؤمن عزيزاً، وأراد له أن يعيش العزة في كل مواقع حياته.

يقول تبارك وتعالى: **﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾**[1] فالله تبارك وتعالى أراد للمؤمن أن يكون عزيزاً. كما أن الذل لا يتصور في حق الله، ولا في حق رسوله كذلك بالنسبة إلى المؤمن؛ ولهذا ليس بإمكان الإنسان أن يذل نفسه بأي حال من الأحوال. يقول الصادق عليه السلام:

(*) القصيدة والنعي لصاحب الكتاب.

١ ـ المنافقون: ٨.

«إن الله فوّض إلى المؤمن أموره كلها ولم يفوّض إليه أن يكون ذليلاً»، فقد تكون مختاراً في بعض الأشياء ولكنّك لست مختاراً أن تذل نفسك إذا كنت مؤمناً.

ويقول الحسين عليه السلام: **«ألاَ وإنَّ الدَّعِي بنَ الدَّعِي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون»**، فالمسألة إذن ليست راجعة لنا في أن نذل أنفسنا أو لا، بل الله لا يرضى لنا ذلك ـ يأبى الله لنا ذلك ـ وفعلاً رفض الحسين عليه السلام أن يذل نفسه أبداً مهما كان الثمن، يقول السيد حيدر الحلي:

طمعت أن تسومه القوم ضيماً   وأبى الله والحسام الصنيع
كيف يلوي على الدنية جيداً   لسوى الله ما لواه الخضوع
فأبى أن يعيش إلاّ عزيزاً   أو تجلى الكفاح وهو صريع

فالله عز وجل أراد للإنسان المؤمن أن يعيش العز في حياته كلها، ولهذا أراد منه أن يبتعد عن كل شيء يورث الذل في الحياة الدنيا. فالشهوات والغرائز مثلاً تدعو الإنسان إلى أن يذل نفسه، ويدنس شخصيته، ويتنازل عن حيثياته وخصوصاً شهوة البطن والفرج.

فترى بعض الناس يمتلك شخصية مرموقة محترمة في المجتمع، وصيتاً ذائعاً؛ لكنّه يركع أمام امرأة تغريه بالمعصية، فتستعبده شهوته، وتجره إلى الذل والصغار، وأنت تجد نماذج كثيرة في التاريخ من ملوك وشخصيات ركعوا أمام بعض النساء؛ ولهذا استخدمت المخابرات العالمية عنصر النساء في عملها

ووظفتها في عملها، فيختارون المرأة الحسناء الذكية ويسخرونها في خدمتهم، فتسلب لهم معلومات خطيرة من بعض الشخصيات المهمة التي لا يستطيعون الوصول إليها بشق الأنفس. وهكذا نرى بعض الناس تذله شهوة بطنه فيشرب الخمر ويفقد صوابه وشعوره، ويصير لعبة مضحكة تضحك عليه الصبيان. ولهذا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: **«ما أقبح المؤمن أن تكون له رغبة تذله»**.

من هنا أراد الإسلام للإنسان ألاّ يخضع لشهواته وغرائزه ويلبي لها ما تطلب وإن كان على حساب عزه وكرامته، بل اراد له أن يقف أمامها من موقع القوة، فإنّ النفس إن تطع تهفو لكل خطيئة وسوأة.

ونرى الإسلام حاول أن يربي الانسان المؤمن على ذلك من خلال التقوى، وهي الامتناع عن المعاصي والشهوات الحرام إطاعة لأمر الله. والإسلام لديه برنامج تربوي عظيم لتربية المؤمن، وتقوية إرادته من أهمها العبادات كالصوم والصلاة والحج، وكلها دورات تدريبية للسيطرة على النفس، ولهذا نرى أن القرآن الكريم يقول: **﴿إنَّ الصَلاَةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والْمُنْكَرِ﴾**[1]، ويقول: **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الّذِينَ مِنْ قَبْلِكُم لَعَلَّكُم تَتقُونَ﴾**[2]، فمن خلال العبادات الشرعية تجد النفس قوة على مقاومة الشهوات. من هنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«من أراد أن يكون أعز الناس فليتق الله عز وجل»**، ويقول الإمام

---

١ ــ العنكبوت: ٤٥.

٢ ــ البقرة: ١٨٣.

الصادق عليه السلام: «**من أراد عزاً بلا عشيرة، وغنىً بلا مال، وهيبة بلا سلطان فلينتقل من ذل معصية الله إلى عز طاعته**».

وهكذا نرى أن الطمع وحب المال، والتعلق بزخارف الدنيا من دواعي الذل، فالمؤمن إذا تعلق بالحياة الدنيا، وطمع في المال سوف يؤدي به طمعه إلى أن يذل نفسه.

وما أروع كلمة أمير المؤمنين عليه السلام عندما قال: «**الطامع في وثاق الذل**»، وفي حديث آخر عنه عليه السلام: «**من أراد أن يعيش حراً أيام حياته فلا يسكن الطمع قلبه**».

وجاء في وصية الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم: «**يا هشام، إياك والطمع، وعليك باليأس مما في أيدي الناس، فإن الطمع مفتاح للذل، واختلاس للعقل، واختلاق للمروات، وتدنيس للعرض، وعليك بالإعتصام بربك والتوكل عليه**»، فبعض الناس عيونهم مشدودة إلى جيوب الآخرين؛ ولهذا يتحملون الكلمة النابية، والإهانة المقذعة، في سبيل أن يحصلوا على كم درهم ودينار من الأغنياء. والغريب أنّ بعضهم يملك وجهاً من حديد، تأتيه الكلمات الجارحة كرشق المطر دون أن يعبأ بها، فتمر على أذنيه وكأنّها موجهة إلى شخص آخر لا تعنيه أبداً، كما يقول المتنبي في إحدى قصائده:

ذل من يغبط الذليل بعيش　　رب عيش أخف منه الحمامُ
من يهن يسهـل الهوان عليه　　ما لجرحٍ بميت إيلامُ

فالإسلام أراد للإنسان أن لايذل نفسه من أجل حطام الدنيا، وطلب منه أن يعيش القناعة في نفسه التي هي الغنى الأكبر، وأنّه يكفيه من الدنيا القليل كما يقول الشاعر:

همتي همـــة الملوك ونفسي   نفس حر ترى المذلة كفرا
إن أنا عشت لست أُعدم قوتاً   أو أنا مت لست أعدم قبرا

وهكذا يشده إلى الله تعالى مصدر الرزق، فلماذا تنظر إلى جيوب الناس ولا تنظر إلى الرازق الحقيقي وهو الله تبارك وتعالى؟! الله كما رزق غيرك بإمكانه أن يرزقك أيضاً.

يروى أن البهلول قال له الرشيد يوماً: هل أجعل لك رزقاً حتى تموت؟ قال: يا هارون كلانا عبدان لله أتظن أنّه يذكرك وينساني؟!

. وهكذا من دواعي الذل أيضاً الخوف من الموت، والفرار من المنية، فكثير من الناس يفضّل العيش تحت وطأة الظالمين، حتى وإن نهبوا ماله، وهتكوا عرضه، وامتهنوا كرامته على أن يموت حراً. والبعض يطلب السلامة من الموت بأي ثمن كان كعمرو بن العاص عندما برز إليه أمير المؤمنين عليه السلام وجلله بسيفه، كشف عن عورته حفاظا على نفسه، فاستحى منه أمير المؤمنين عليه السلام وتركه، وبقي العار عليه أمد الدهر كما يقول بعضهم:

ولا خير في دفع الردى بمذلة   كما ردها يوماً بسوءته عمرو

الله أراد للمؤمن أن لا يذل نفسه خوفاً من المنية، وهرباً من حر السيوف. فالمفروض أنّ الموت بالنسبة إلى المؤمن يمثل حالة انتقال من دار إلى دار، ومن دار ضيقة مليئة بالأحزان والمكدرات إلى دار واسعة فيها كل ما تلذ الأعين

وتشتهي الأنفس. بخلاف الكافر الذي يعتبر الموت بالنسبة إليه نهاية لكل آماله وطموحاته. فالموت بالنسبة إلى الكافر بداية كل شقاء ونهاية كل سعادة، وأمّا بالنسبة إلى المؤمن فالموت يمثّل بالنسبة إليه نهاية كل شقاء وبداية كل سعادة، فلماذا يهرب من الموت إذن؟!

يقول أبو عبد الله الحسين عليه السلام: «**لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً**»، وعلى كل حال، فالله عزوجل أعطى المؤمن العزة في حياته، وليس هناك أي موقع يمكن أن يهب للإنسان العزة غير الله والدين والاسلام، فمن لا يعزه الله تبارك وتعالى سوف لن يكون عزيزاً أبداً. ولهذا يقول القرآن الكريم: ﴿**الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً**﴾[١]، فالعزة جميعاً لله تعالى لا عند الكافرين والمستكبرين، وهو الذي يهب العزة لمن يشاء، وقد وهبها للمؤمن: «**إن الله أعطى المؤمن ثلاث خصال: العزة في الحياة الدنيا...**»، هذا أولاً:

وثانياً: والفلح في الآخرة. فكل إنسان سوف يخسر في الآخرة إلاّ المؤمنون، سوف يفوزون برضوان الله تعالى: ﴿**وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾[٢]، فالآية الكريمة تستخدم أداة الحصر (إلاّ) لتقول: إنّه لن ينجو في الآخرة إلاّ من توفرت فيه هذه السمات: الإيمان بالله تبارك وتعالى، وبرسوله، وباليوم الآخر، والعمل

١ ــ النساء: ١٣٩.

٢ ــ العصر: ١ ــ ٤.

الصالح الذي يبتغي به الانسان المؤمن وجه الله تبارك وتعالى، لا وجوه الآخرين؛ لأنّ ما يعمله الإنسان لا لوجه الله تعالى حتى وإن عظم هو في الواقع ليس ربحاً وإنّما خسارة سوف يندم عليه الإنسان أي ندم، حيث قضى مثلاً دهره بالصلاة وقراءة القرآن وسائر الأعمال الأخرى، ثم يأتي يوم القيامة صفر اليدين، ليس له ممّا عمل أي أجر وثواب. فالفلح في الآخرة هو من نصيب المؤمن أما غير المؤمن فنصيبه الخسران المبين، الخسران الذي ليس بعده خسران، وأي خسران أعظم من الخلود في نار جهنم.

وثالثاً: من جملة الهبات أيضاً المهابة في صدور الظالمين. فالمؤمن وإن كان أعزلاً من السلاح والجند إلاّ أنّ الله يعطيه قوة عظيمة، ومهابة خاصة في صدور الناس؛ لأنّه كما في الحديث الشريف: «**من خاف الله أخاف الله منه كل شيء**».

ويروى أنّ المنصور العباسي كان مصراً على قتل الإمام الصادق عليه السلام وقد استدعاه أكثر من ثمان مرات إلى قصره، وفي كل مرة كان يتوعد الإمام عليه السلام بالقتل ولكنّه كان بمجرد أن يدخل عليه الإمام عليه السلام تأخذه هيبته ويطلق سراحة.

وأيضاً يروى عن الإمام زين العابدين عليه السلام مثل ذلك، فعندما دخل مسلم بن عقبه المدينة سب الإمام السجاد وهدده وتوعده، وصمم على قتله، ولكنّه بمجرد أن رآه وعليه هيبة الإمامة وسيماء الأنبياء احتفى به احتفاءً بالغاً؛ ولما خرج سئل عن ذلك، فقال: ما كان ذلك لرأي مني لقد ملئ قلبي منه رعباً.

نعم، وهكذا نرى أنّ للحسين عليه السلام مهابة في صدور الظالمين كبيرة، لقد أرعب الظالمين حياً وميتاً ـ سلام الله عليه ـ فمع مرور مئات السنين على مقتل الحسين عليه السلام لا زال اسمه يزلزل عروش الظالمين كلما تردّد على شفاه الثائرين. فالظالمون يخافون من هذا الاسم أكثر مما يخافون من الصواريخ والطائرات، وهكذا في حياته فقد كان معاوية ويزيد وأتباعهما يخافون الحسين عليه السلام ويعلمون أنّه أهم عقبة في طريقهم؛ ولهذا بمجرد أن هلك معاوية ووصل يزيد إلى الحكم كتب إلى عامله على المدينة الوليد بن عتبة أن يأخذ البيعة من الحسين عليه السلام فإن أبى يضرب عنقه.

بل حتى والحسين عليه السلام في أضعف حالاته كان الظالمون يخافونه، فقد روى المؤرخون أنّ الحسين عليه السلام لما وقع صريعاً على الثرى، مقطع الأعضاء،، قد أعياه الضمأ، ونزف الدماء قال عمر بن سعد لزبانيته: انزلوا إلى الرجل فأريحوه، فأخذ كل من يقترب منه يرمقه الحسين بطرفه، فيرتعد ويولي هارباً، هيبة من الإمام عليه السلام.

ولخوفهم من الحسين عليه السلام حاولوا أن يمحوا كل أثر يدل عليه، فأحرقوا خيامه، وشوهوا جسده بالسيوف والرماح، وبرضّ الخيول، وفصلوا راسه عن جسده حتى لا يعرف عندما يدفن، وتركوا جسده عارياً على الرمضاء لعل السباع تأكله فلا تبقى منه بقية تعرف، وهكذا ظل الحسين عليه السلام ثلاثة أيام دون أن يوارى الثرى، إلى أن جاءه ولده زين العابدين عليه السلام في الثالث عشر من محرم، وكان قد سبقته إليه مجموعة من بني أسد فلما رأوه اختبأوا منه خوفاً من أن يكون من عيون ابن زياد، فجاء إلى أن وصل إلى الجسد

الشريف، نزل من على راحلته، وأهوى على أبيه يقبله في جسده المقطع، ولسان حاله يقول:

غسلك من دماك وچفنك رمال ولا شالك لگبرك بويه شيال
بگـــت جثتك ثلث تيام وليال ومالك غير وحش البر زوار

* * *

ظلت جثتـــك بويه غريبه وبعيده عله الوطن ماهي جريبه
يبويه مصيبتك والله مصيبه مثلهه بالدهر لا صح ولا صار

* * *

ثم أراد أن يواري جسد أبيه في الثرى، ويقال: إنّه قال لبني أسد: «**هل من حصير أو باريه؟**»، قالوا: وما تصنع بها؟ قال: «**أجمع عليها أوصال الحسين المقطعة**».

حِنه ظهره علبوه احسين والله يعـــــلم بحــــاله
ابدال الچفن والتــابوت لفّه ابـــاريه وشـــاله
ولم الجســـم المطـــشر يويلي وجمّع اوصـــــاله
عجب من نزلـــه بگبره وگلبـــه منشطـــر نصين

* * *

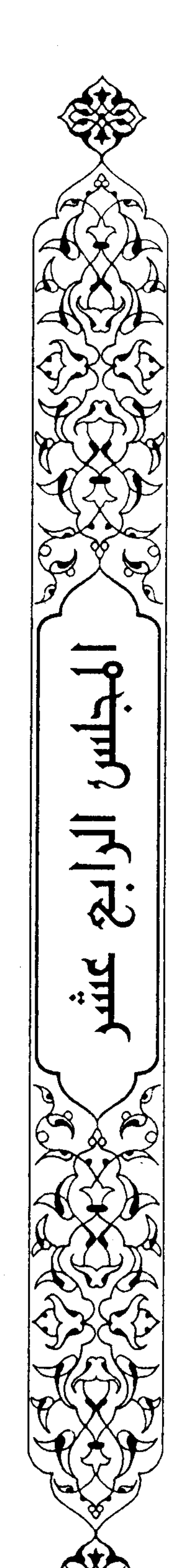
لو گلنــه الجـــسد لمـــه وجاب الخنصر المگطوع
والچـــفين خـــلاّهه يمـــه والجـــسد مجموع
هـــذا الجسد وين الراس فوگ السمهري مرفوع

يتهـــــدوه واويـــــلاه وهـــمه بجتـــله معيدين

* * *

حرت يا كتر اشيلنه واسدره أبوي مرضرضه ظلوعه وسدره
يا هو الجاب كافوره وسدره ومـــن غسل غريب الغاضريه

* * *



الإيمان بين الثبات والإهتزاز

المجلس الرابع عشر:

الإيمان بين الثبات والاهتزاز

وثواكل بالنوحِ تسعد مثلها   أرأيت ذا ثكل يكون سعيدا
لا العيس تحكيها إذا حنّت ولا   الورقاء تحسن عندها الترديدا
عبراتها تحيي الثرى لو لم تكن   زفراتها تدع الرياض همودا
وغدت أسيرة خدرها ابنة فاطم   لم تلف غير أسيرها مصفودا
تخفي الشجا جلداً فإن غلب الأسى   ضعفت فأبدت شجوها المكمودا
نادت فقطّعت القلوب بشجوها   لكنّما انتظم البيان فريدا
إنسان عيني يا حسين أخيَّ يا   أملي وعقد جُماني المنضودا
ما لي دعوت فلا تجيب ولم تكن   عودتني من قبلُ ذاك صدودا
ألمحنة شغلتك عني أم قلىً   حاشاك إنّك ما برحت ودودا*

* * *

مصايب كربله اللي علي مرات   بگت بالگَلب منهن غصص مرات

(*) القصيدة لشاعر أهل البيت عليهم السلام الشيخ هاشم الكعبي رحمه الله.

مو مرّه صحت يحسين مرات وانته ما ترد اجواب ليّه

* * *

قال تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[١].

هذه الآية الكريمة تتحدث عن بعض النماذج السلبية في المجتمع، وهي الفئة الضعيفة الإيمان، التي لم يترسخ الإيمان في قلوبها، ولم يستقر في نفوسها، فهو يتقلب بتقلب الأحوال والظروف. هؤلاء هم الذين يعبدون الله على حرف. والحرف في اللغة: هو الطرف والجانب، فكأنّهم يعبدون الله في جانب دون جانب، وعلى تقدير دون تقدير، وفي ظرف دون ظرف، فلا يمثل الدين لديهم حالة مستمرة، بل هو حالة مؤقته، وهولاء إيمانهم متزلزل؛ لأنّ الحرف يعني حافة الشيء أيضاً. فحافة الجبل، وحافة النهر تسمى حرفاً، فكأنّ إيمانهم لم يقم على أرض صُلبة، ولم يقف على موقف مستقر كالذي يقف على جرف هار؛ أقدامه غير مستقرة وجسمة غير متوازن من الممكن أن يقع عند أدنى هزة، كذلك هؤلاء يفقدون إيمانهم لأدنى هزة تعترضهم.

وكان تعاملهم مع الله ومع الدين تعامل تجاري بحث، قائم على أساس الربح والتجارة. وبعبارة أخرى إيمانهم إيمان نفعي، فإذا كان الدين يجر لهم بعض المنافع، ويحقق لهم بعض المكتسبات والامتيازات فهم يتمسكون به

---

١ ـ الحج: ١١.

ويدافعون عنه، وإذا لم يجنوا منه نفعاً أو مكسباً تركوه وأعرضوا عنه. فهم مؤمنون متدينون أيام الرخاء، وأما أيام الشدة والبلاء فهم يتخلون عن دينهم وعن لإيمانهم.

هؤلاء الذين يعبر عنهم الإمام الحسينعليه السلام بقوله: «**الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معايشهم، فإذا محّصوا بالبلاء قل الديانون**»، وهذا خير وصف لهذه الفئة من الناس. فهؤلاء ــ الذين يعبدون الله على حرف ــ هم في الحقيقة عبيد الدنيا لا عبيد الله، والدين لعق على ألسنتهم، أي كاللعقة واللطعة السريعة، أي يمثل حالة وقتية بالنسبة لهم، (يحوطونه) أي يحوطون الدين بمعنى يهتمون به ويرعونه. (ما درت معايشهم) أي ما كانوا في خير ودعة وسلامة، فإذا محّصوا بالبلاء، وبتلوا بالمحن والشدائد قل الديانون، سقط أكثرهم في الامتحان وتركوا الدين و لم يبق من الديانين إلاّ القليل.

هؤلاء في الحقيقة إيمانهم مستودع لا مستقر؛ لأنّ الإيمان على قسمين كما في الروايات الشريفة، إيمان مستقر في النفوس لا يتزعزع ولا يذهب مهما كانت الحوال والظروف، ومنه ما هو مستودع يعني لم يستقر في النفوس و لم يتمكن منها، بل يعيش فترة في تنفس الإنسان ثم يذهب عنها بعد فترة قد تطول وقد تقصر؛ ولهذا نرى بعض الناس في أواخر حياته فقد إيمانه واستقامته، بل بعضهم قريب الموت وفي نزعات الموت يفقد إيمانه، وربما لأتفه الأسباب كما ورد في سبب نزول هذه الأية الكريمة أنّ مجموعة من الأعراب دخلوا في الإسلام وهاجروا إلى المدينة، فكان البعض منهم إذا أصابته نعمة بأن

ولدت زوجته غلاماً، أو ولدت فرسه مهراً، أو ازدادت ماشيته اهتم بالإسلام وبالعبادة، وإذا بالعكس من ذلك أجهضت الفرس مثلاً و لم تلد، أو ولدت زوجته أنثى، أو أصابه وجع ما، أو ماتت له نعجة ترك دينه وترك عبادته، ورجع إلى ما كان عليه. هذا النوع هو الذي تتحدث عنه الآية الكريمة تتحدث عن هذا الإيمان المهزوز الذي يزول من أجل نعجة ماتت، أو سيارة فقدت، أو بنت ولدت.

تقول: (ومن الناس) أي بعض الناس من يعبد الله على حرف أي إيمانه متزلزل ومهزوز، فإن أصابه خير ونعمة أطمأن به، أطمأن بإيمانه وثبت عليه وحافظ عليه، وإن أصابته فتنة أي شر بدليل مقابلته بالخير، وعبر عن الشر بأنّه فتنة؛ لأنّ الله عزوجل يريد أن يفتن به الانسان، يريد أن يختبر به عبده؛ لأنّ الفتنة هي الاختبار، والله عزوجل يفتن الإنسان بالبلاء والمحنة حتى ولو لم يكن مذنباً، لأنّ البعض عندما تنزل به نقمة أو يصاب بمحنة ما يقول ويصيح: يارب ماذا عملت حتى تجازيني هكذا؟ وماذا أذنبت من ذنب كبير حتى تفعل بي هذا...؟ والواقع أن البلاء ليس بالضرورة أن يكون عقوبة على ذنب؛ لأنّ البلاء على نوعين:

الأول: عقوبة للإنسان، بمعنى أنّ الإنسان قد يطغى ويتجبر ويتكبر، ويفعل المنكرات وينتهك الحرمات، فيبتليه الله عزوجل ببلية ما عقوبة على أعماله وظلمه للعباد حتى يرتدع عن ذلك. والكثير من البلاءات هي من هذا النوع. وتارة تكون العقوبات جماعية بمعنى أنّ بعض الأمم والمجتمعات تتمرد على طاعة الله وتتجاوز حدوده فيبتليها الله عزوجل بالجوع والغلاء والزلازل

والأمراض عقوبة لها على أعمالها القبيحة، كما يقول القرآن الكريم: **﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾**[١].

<u>الثاني</u>: اختبار للمؤمن، حتى ولو لم يكن ظالماً عاصياً، لكن مع ذلك الله تعالى يختبره حتى يظهر صدق إيمانه؛ لأنّ البلاء هو الفرقان بين الإيمان والنفاق، وهو المحك الذي يظهر به صدق الإيمان من كذبة، فالبعض يكون متمسكاً بإيمانه كالوتد كلما ازداد عليه الضرب ازداد ثباتاً في الأرض كما يقولون. أو كما تقول الآية الكريمة: **﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾**[٢]، فلم يزعزع ذلك إيمانهم، بل بالعكس من ذلك زادهم إيماناً وتمسكاً بإيمانهم. والبعض الآخر يكون كما تقول الآية: **﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾**، ثم تقول الآية: **﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾**[٣]، لماذا خسر الدنيا والآخرة؟ الواقع أنّه خسر الآخرة واضح؛ لأنّ الإنسان عندما يكفر بالله تعالى، أو يعترض عليه، أو يسخط قضاءه فسوف يحبط أجره ويعاقب يوم القيامة على كفره بالله، أو اعتراضه وسخطه فهو خاسر في الآخرة لا ريب، وأما في الدنيا فواضح أيضاً؛ لأنّه عندما يعرض عن الله عزوجل في المحنة والبلية فمن الذي يحل له مشكلته؟

---

١ ــ هود: ١١٧.

٢ ــ آل عمران: ١٧٣.

٣ ــ الحج: ١١.

بعبارة أخرى هذا المعرض عن الله والمعترض عليه سوف يخسر الآخرة نتيجة لإعراضه عن ربه، وسوف يخسر في الدنيا؛ لأنّ المشكلة التي وقع فيها من سيخلصه منها غير الله؟ وإذا لم يحل الله مشكلة الإنسان، و لم يخلصه من ورطته، هل هناك من يستطيع ذلك؟ كلا وألف كلا! فإذا الله عزوجل لم يرحم الإنسان ويحل له مشاكله ويرفع عنه بليته ويكشف ضره لن يستطيع أحد في العالم أن يفعل ذلك. وهذا ما أكدته الآيات القرآنية الكثيرة جداً: **﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾**[1]، **﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ﴾**[2]، **﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾**[3].

ويقول أمير المؤمنينعليه‌السلام في دعاء كميل المبارك: «**إلهي وربي من لي غيرك أساله كشف ضري والنظر في أمري**»، فالإنسان الضعيف الإيمان يخسر الدنيا والآخرة. يخسر الدنيا لأنّه يخسر عون الله تبارك وتعالى وعنايته ولطفه ورحمته، وإذا خسر الإنسان رحمة الله تبارك وتعالى في حياته خسر كل شيء، وهكذا سوف يخسر ثواب الله في الآخرة؛ لأنّ الإعتراض والسخط يحبط أجر الإنسان وذلك هو الخسران المبين.

---

١ ــ آل عمران: ١٦٠.

٢ ــ الأنعام: ١٧.

٣ ــ النمل: ٦٢.

نعم، أن يخسر الانسان دنياه وآخرته ذلك هو الخسران المبين بحيث يخسر كلا الدارين، بينما الإنسان الذي يصبر على بلاء الله تبارك وتعالى سوف يربح كلا الدارين، يربح سعادة الدنيا؛ لأنّ الصبر مفتاح الفرج، فإذا سلّم الإنسان أمره لله تبارك وتعالى ورضي بقضائه سوف يكشف الله عنه الضر والسوء، وسوف يحصل على ثواب الله الكبير في القيامة حيث يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب، وإذا لم يربح الدنيا فإنّه يربح الآخرة، وهذه هي ثمرة الصبر. فالإنسان الجزوع القنوط يخسر الدنيا؛ لأنّ جزعه لا يرفع عنه السوء ولا يحل له المشكله، وبالإضافة إلى ذلك يخسر الآخرة نتيجة لاعتراضه على ربه، وأمّا الإنسان الصابر الشاكر فإنّه يربح الدنيا والآخرة، وحتى لو خسر الدنيا بأن بقي في المحنة و لم يكشف عن السوء فإنّه لا يخسر الآخرة.

إذن فهذا النموذج الذي تذكره الآية الكريمة هو نموذج سلبي نتيجته خسران الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين، وهناك في قبال هذا النموذج نموذج آخر يعبر عن صدق وعمق الإيمان. كما أنّ من الناس من يعبد الله على حرف فتكون عبادته متزلزلة، كذلك من الناس من لا يعبدون الله على حرف، بل يعبدون الله عبادة خالصة، عبادة حقيقية، بل وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك.

فهؤلاء إيمانهم إيمان واحد، قد رسخ في نفوسهم فهو لا يتغير ولا يتبدل بتبدل الظروف والأحوال، وفي الشدة والرخاء، وفي العافية والبلاء، وفي كل حال هم ثابتون على إيمانهم ودينهم وصلتهم بالله تبارك وتعالى. فالصنف الأول صلتهم بالله ضعيفة جداً كبيت العنكبوت، فخيوطهم التي تشدهم بالله

خيوط بالية؛ ولهذا تنقطع بسرعة، بينما هؤلاء صلتهم بالله متينة جداً، لا يمكن أن تنقطع أبداً مهما كانت الأحوال.

فعلى سبيل المثال نبي الله أيوب عليه السلام كم تعرض إلى محن وابتلاءات؟ وكم حاول الشيطان أن يقطع صلته بالله تبارك وتعالى؟ ولكنّه لم يستطع. يقال: إنّ الشيطان قال لله تبارك وتعالى: إنّ أيوب لا يؤدي إليك الشكر إلاّ للنعم التي أنعمت بها عليه، وكان أيوب على الظاهر يعيش في نعمة، لديه أموال ومواشٍ، وبساتين وأولاد، وكان دائم الشكر لله تبارك وتعالى على نعمته التي أنعم بها عليه؛ لأنّه بالشكر تدوم النعم وتزيد النعم.

فقال الشيطان لله تعالى: إنّ أيوب إنّما يحمدك ويشكرك؛ لأنّ نعمك عليه كثيرة ولو سلبت منه هذه النعم وابتليته ببعض الابتلاءات لما شكرك كل هذا الشكر، وطلب من الله عزوجل حتى يثبت ذلك أن يسلطه على أيوب فسلطه الله عليه، طبعاً على جسمه وعلى أمواله لا على عقله ولا على روحه؛ لأنّ الأنبياء ليس للشيطان سلطان على عقولهم وأرواحهم: **﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾**[1]، لكن سلطه على جسمه، وإن كان هناك بحث بين العلماء هل إنّ الشياطين والجن هل تستطيع أن تتسلط على بدن الإنسان فتسبب له بعض الأضرار، أم لا؟ البعض يرى أنّ ذلك لا يمكن؛ لأنّ عالم الجن وعالم الإنس عالمان متمايزان وحاشا لله أن يسلط على الإنسان عدواً لا يراه ولا يملك أدوات مواجهته.

---

١ ـ ص: ٨٢ ـ ٨٣.

والبعض يرى أنّه من الممكن أن يسبب بعض مردة الجن وفسقة الشياطين بعض الأضرار للإنسان، ونحن لسنا بصدد ذلك وإن كان الحاصل في مجتمعاتنا هو الاهتمام الكبير لمسالة الجن والاعتماد الكبير للناس على هذه المسألة بحيث ترى الناس إذا أصيبوا بمرض ما، أو مشكلة عائلية، أو مشكلة اقتصادية تراهم يهرعون إلى الجن وإلى العرافين، ويدفعون الأموال الطائلة على بعض المشعوذين من أجل أن يحلوا مشكلتهم. نحن نرفض هذا النوع من الاستغراق في عالم الجن ونريد للناس أن يعيشوا حياتهم الطبيعية ويحلوا مشاكلهم بعقولهم التي وهبها الله لهم.

نعم، فالشيطان تَسلط على أموال أيوبعليه السلام فأهلك زرعه، نفخ فيه فأحرقه ـ كما تقول الآخبار ـ فلم يزدد أيوب إلاّ شكراً وحمداً لله تبارك وتعالى. ثم أهلك ماشيته وأنعامه، فلم يزدد إلا شكراً، ثم مات أولاده، وهلك جميع أهله و لم تبق معه إلاّ امرأته، ونعلم أنّ هلاك الأولاد جميعاً ليس بالأمر اليسير، فقد يصبر الإنسان على فقد ماله باعتباره عرضاً زائلاً يروح ويجيء.

المهم، هلكت زروع أيوب وأنعامه، وتلفت أمواله، ومات أولاده ومع ذلك ما تزعزع إيمانه أبداً، بل كان دائم الشكر لله تبارك وتعالى إلى أن ابتلاه الله بجسمه، فمرض مرضاً شديداً حتى أقعد على الفراش وهجره الناس. طبعاً بعض الأخبار تقول: إنّه تقيح جسمه وراح الدود يخرج من جسده حتى تركه الناس؛ ولكنّنا لا نقبل هذه الروايات؛ لأنّ هناك روايات أخرى عن الأئمةعليهم السلام ترفضها؛ ولأنّه من جملة عقائدنا في الأنبياء أنّه ينبغي أن يكون

النبي خالياً من كل عاهة تنفر الناس منه، ولذلك ينبغي أن لا يكون قبيحاً جداً تنفر منه الطباع.

نعم، لا يجب أن يكون أجمل الناس، ولكن المفروض أن يكون شكله مقبولاً بين الناس حتى لا ينفروا منه، وعلى كل حال نحن لا نقبل الروايات التي تقول: إنّ الناس تركوه وهجروه لتقيح جسمه وما شاكل ذلك؛ لأنّه من المعقول أنّهم تركوه لأنّه أصبح فقيراً لا يملك مالاً ولا ولداً ـ وعادة الناس أن الفقير لا يسأل به أحد ـ لذلك ترى أنّ الإنسان عندما يكون غنياً يمل من التلفونات والاتصالات والرسائل والزيارات، ولكن بمجرد أن يميل به الدهر لا أحد يسأل عليه.

المهم، فأيوب عليه السلام فقد كل شيء أمواله، وأنعامه، وأولاده، وصحته وعافيته، هجره الناس، وظل طريحاً على الفراش مع ذلك لم يفقد ثقته بالله، ولم يتزلزل إيمانه، ولم يتمكن الشيطان منه، كان يأتي إليه ويقول: لقد طال مرضك يا أيوب، إنّ الله نسيك، ولم يستجب دعائك...، مع ذلك أيوب عليه السلام لم يستسلم للبلاء بل ظل صابراً محافظاً على إيمانه؛ لأنّه كما قلنا: إنه لم يعبد الله من أجل الأموال أو الشياه أو الأولاد حتى يزول إيمانه بزوالها.

هذا هو الإيمان الصحيح، والإيمان القوي، والايمان الثابت. وهذا الإيمان هو ما تلمسه في كربلاء عند الحسين عليه السلام، عند أصحاب الحسين، وعند أهل بيته. وخصوصاً عند الحوراء زينب عليها السلام، فقد كانت تملك إيماناً ثابتاً لا نظير له؛ ولذلك كل الحوادث التي جرت عليها ـ وهي حوادث لا تطاق أبداً ـ لو

مست الجبال الراسيات لأزالها، كل تلك المصائب العظام والرزايا الجسام لم تؤثر على إيمانها وعلى صبرها وتسليمها لله ورضاها بقضاءه.

ولذلك ينقل عنها أنّها ما تركت صلاة الليل حتى في الطريق، يعني ما فقدت صلتها بالله لأجل ما حدث لها، بل كانت تصلي صلاة الليل من جلوس؛ لأنّ المصائب والجوع والسغب، والتعب والنصب هدّ قواها عليها السلام، ولذلك عندما تدخل قصر عبيد الله بن زياد ويقول لها اللعين في جملة ما يقول: كيف رايت صنع الله بأخيك وباهل بيتك؟ قالت: ما رأيت إلاّ جميلاً.

هذا هو منطق المرأة المؤمنة، لم تندم على ما جرى عليها و لم تاسف و لم تتململ، و لم تسخط قضاء الله، بل قالت: ما رأيت إلا جميلاً، كل الذي رأيته جميل أي إيمان تمتلكه زينب عليها السلام.

إنّ الأولياء الصالحين يرون كل ما يأتي من الله جميلاً، كل ما أتى من الحبيب فهو حبيب؛ ولهذا لا يفرقون في فعل الله بين أن ينعم عليهم أو أن يبتليهم ما دام أنه من الله وفي سبيل الله تبارك وتعالى فهو جميل، لذلك تقول زينب عليها السلام: كل الذي رأيت من قتل إخوتي، وأبنائي وأبناء عمي، وكل ما شاهدته من خوف ورعب وذل وعذاب وغير ذلك كله جميلاً وهذه لعمري منزلة جليلة جداً، منزلة الرضا بقضاء الله وهي منزلة الأنبياء والصالحين التي وردت بها وبمدحها آثار كثيرة.

(ما رأيتُ إلاّ جميلاً، أولئك قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم، فانظر لمن يكون الفلج يومئذ؟ هبلتك أمك يابن مرجانة). لاحظ عباراتها عليها السلام بالإضافة إلى الإيمان والعرفان الذي يطفح منها تراها طافحة بالشجاعة والتحدي والصلابة، لا أحد من الحاضرين من الرجال يجرؤ أن يخاطب عبيد الله باسمه، ويقول له: يا عبيد الله، إذا لم يقل له: أيها الأمير وماشاكل ذلك، أما زينب عليها السلام فإنّها تحتقره وتحتقر قدرته وعرشه، لا تخاطبه باسمه وإنّما تقول له: يابن مرجانة، وهو يعير بذلك، ومع ذلك تقول له: (هبلتك أو ثكلتك أمك)... ولهذا لم يتوقع ابن زياد منها أن تواجهه بهذا الشكل، ولذلك امتلأ غيظاً، وعمد إلى سوط كان بيد أحد شرطته وانتزعه منه وأقبل على الحوراء عليها السلام ليضربها لولا أنّ عمر بن حريث هدأ الموقف، وقال له: إنّها امرأة ولا تؤاخذ بمنطقها لكيلا ينقلب الوضع عليهم، ولكن هذه اللحظات كانت صعبة جداً على الحوراء عليها السلام، صحيح أنّه لم يضربها ولكن مجرد هجومه عليها بالسوط أمام الناس وهو العبد اللئيم، والعتل الزنيم، وهي فخر المخدرات كان صعباً على قلبها...

أكرم بها من لبوةٍ كريمة ... قد وقفت مواقفاً عظيمة
صبّت على نجل سمية الغضب ... ومنه بنت الماجدين لم تهب
قد دفنت غروره بالوحل ... أخت الحسين الطهر بنت الفحل
فغاظه منطقها السديدُ ... وكادت الأرض به تميدُ
فعند ذا تجاوز الحدودا ... وأظهر الأضغان والحقودا

لهفي لها لما عليها هجما بالسوط بعد إذ أخاها شتما
فلم تجد من تلكم الأنام من ناصر ينصر أو محامي
فأين عباس وأين الأكبرُ عنها لماذا عندها لم يحضروا
تندبهم بلوعة وحزن ودمعها يهمي كصوب المزن
يا إخوتي يا سادة الأبطال ياليتكم ترون ذل حالي
لكنّهم لم يسمعوا نداها فخاب من ندبتهم رجاها
لو أنّهم لم يصرعوا فوق الثرى ما كان قد جرى عليها ما جرى

* * *

انه بتّمن واطبن للدواوين آنه مخدرة عباس وحسين
ظليت بس ادير بالعين حرمه بلا والي ولا معين
انخه اخوتي وعني بعيدين وظلوا عله الغبره مطاعين
توني عرفت الأخو هيبه من طبيت للكوفه غريبه

مشه عباس مني منين أجيبه

* * *

المحتويات



* * *

إصدارات

دار الجوادعليه السلام للتحقيق والنشر

نفحات عاشوراء ١ / الشيخ علي الشجاعي .

ثلاث ندوات / محمد النجار .

السجود على الأرض / السيد محمد جواد سنبه .

نفحات عاشوراء ٢ / السيد محمد الشوكي (وهو هذا الكتاب) .

لم تكن قضية عاشوراء حدثاً تاريخياً محضاً حدث في حقبة زمانية معينة ثم انقضى، كما هي أغلب الأحداث التاريخية التي لم تستطع أن تتخلص من أسر الماضي، وتنطلق في رحاب الحاضر والمستقبل، لتؤثر في مساراته المختلفة، وإنما كانت قضية عاشوراء ولا زالت الحدث التاريخي الكبير الذي ترك لمسات واضحة على الواقع البشري في الماضي، وشارك بفاعلية كبيرة في صياغة الحاضر والمستقبل ...

المؤلف

مركز التوزيع:

ايران . قم . دار الجواد عليه السلام

للتحقيق والنشر

هاتف: ٧٧٢٢٩١٥ (٩٨٢٥١+)

قم - ص.پ ٣٧١٨٥/٣٩٢٩

تلفن: ٧٢٣٣٦٣٥ - ٧٧٣٤٢٤٣ (٠٢٥١)